26

حرب أهلية في أنغولا

تجمع غيوم العاصفة

في أندر المناسبات فقط تغير زيارة رسمية واحدة سياسة أمريكا الوطنية. ومع هذا استطاع الرئيس كينيث كاوندا، رئيس زامبيا، أن يحقق ذلك على وجه الدقة عندما جاء إلى واشنطن في 19 نيسان، عام 1975. ففي تلك المناسبة أقنع الرئيس فورد وأقنعني أن الاتحاد السوفييتي كان يتدخل في أنغولا عن طريق الأسلحة والخبراء العسكريين وأن علينا أن نجابه هذا الاقتحام من أجل جيران أنغولا.

من جانبنا لم نكن نحتاج إلى أزمة أخرى في قارة بعيدة معزولة حتى الآن عن الحرب الباردة، أزمة يحتمل أن تؤدي إلى شقاق داخلي. فقد كانت الهند الصينية تنهار في ذلك الشهر، والاستقلال الذاتي الكردي قد أُطيح به، والثورة البرتغالية كانت تتجه نحو اليسار على نحو أبعد، ودبلوماسية الشرق الأوسط مجمدة.

كانت زيادة كاوندا مقررة قبل شهور باعتبارهت علاقة تقدير لواحد من رواد نضال أفريقية من أجل الاستقلال. ولم يكن يتوقع منها مبادرات كبيرة. ومع هذا فقد ظهرت سياسة جديدة غير متوقفة تماماً من هذا اللقاء. أقنع كاوندا فورد بأن شحنات الأسلحة السوفييتية تساعد «الحركة الشعبية لتحرير أنغولا» (MPLA) الماركسية على الإمساك بالسلطة وأن المساعدة الأمريكية قضية ضرورية لإحباط الخطط السوفييتية. وازدادت حجته قوة عندما علمنا لتونا أن ضباطاً متطرفين من السلطة الاستعمارية البرتغالية الراحلة كانوا يحولون مستودعات ذخائرهم وأسلحتهم إلى الحركة الشعبية المذكورة في أنغولا.

إذا كانت السياسة الخارجية هي مجرد حساب تفاضل وتكامل للقوة، فينبغي أن تكون مهمتنا سهلة نسبياً. كانت أنغولا بعيدة عن الاتحاد السوفييتي، والدول المجاورة مثل زائير كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالغرب. هذه العوامل مجتمعة هي التي دحرت التدخل السوفييتي، على وجه الدقة، في الكونغو البلجيكي السابق قبل 15 عاماً.

ولكن ذلك كان عام 1975، وأمريكا لم تعد تحتفظ بنقائها الأصلي. فقد أوجدت فيتنام في عقول كثير من الأمريكيين عزوفاً عن مقاتلة الشيوعية في ميادين معارك بعيدة أو السماح للعلاقات الدولية

أن تتحـدد وفـق هذه الشروط. وتحقيقات المخابرات كانت تعم العمليـات السرية ـ وهي الوسيلة الوحيدة لمقاومة الهيمنة الشيوعية على أنغولا. وكان الليبراليون تواقين إلى عزل أفريقية عن الحرب الباردة، رغم أن النشـاط السوفييتـي ثم النشاط الكوبي الذي لحقه سريعاً قد جعلا هذا الهدف حلماً على نحو متزايد. وأمـا المحافظـون الذين كانوا علـى وشك الدخول في الانتخابـات الأولية الوشيكة ضـد فورد بمرشحهم التقليـدي الجديـد، رونالد ريغـان، فما كانوا ليسمحـوا لأنفسهم أن يفوتـوا معركتهم العنيفـة ضد إدارة فـورد ورقّتها المزعومة في الالتحـام في صراع جيو. سياسي لإبقاء الاتحاد السوفييتي خارج أفريقية. أما الكونغرس ذو الأغلبية المؤيـدة لما كفغرن فكان معادياً لأية مغامرات خارجيـة، ولا سيما عندما تديرها الوكالات الاستخباراتية.

ولكـن التحـدي الذي لفـت كاوندا أنظارنـا إليه كان أمـراً حقيقياً. فبعـد بضعة أشهـر قليلة، في 16 تشريـن الأول، 1975، عبّرت عما يلي إلى ضابط الخدمة الخارجية في كينشاسا زائير، الذي حفظ برقية فيمـا يسمى القنـاة المعارضة، التي تمكن موظفي الخارجية من التعبير عـن اعتراضاتهم خارج القنوات النظامية. استدعيته إلى واشنطن لأشرح سياستنا في محادثة شخصية:

> فـي تقديري أنه إذا كان الاتحـاد السوفييتي يستطيع أن يتدخل على بعد ثمانية آلاف ميل عـن الوطن بطرّيقة غير نزاعية ويسيطر علـى وصول زائير وزامبيا إلى البحر، عندئذ لا بـد أن تستنتـج دول جنوب أفريقية أن الولايـات المتحدة قد تخلّت عـن جنوب أفريقية. ربما من أجل أفضل الأسباب. عندئذ ستكون أمام خيارين: هل تتوجه إلى الصين أم إلى الاتحاد السوفييتي. ولما كنت متجهاً غداً إلى الصين، فإنني لا أعتقد أنهم سيقدمون لنا أي شيء جيد في أفريقية. وهذا الاتحاد سينتشر. سيحوّل تانزانيا ودولاً أخرى إلى مزيد مـن التوجـه اليساري، وسيكون له تأثير كبيـر في أفريقية. لهذا أعتقـد أن لدينا التزاماً كبيـراً لا لعكـس الوضع، ربما، إذ إن الوقت تأخر كثيراً، ولكـن على الأقل أن نوازن القوى بحيث لا نواجه باستقلال بادعاء لا خلاف عليه من قبل الشيوعيين في لواندا (أنغولا).
>
> ما زلت أعتقد أن هذا التحليل كان صحيحاً في جوهره.

بداية التورط

يمثل رئيس زامبيا كينيث كاوندا الرجل الفصيح الذي ينضح بالكرامة والقوة الداخلية، جيل الزعماء الأفارقة الذين انتزعوا الاستقلال من الاستعمار. وأمثاله من المتأثرين بالمثل الغربية المعادية للاستعمار ـ وبالنسبـة لكاونـدا أولئك الآباء الذين أسسوا أمريكا ـ كان ينظر إليهـم من قبل المثقفين الغربيين على أنهم تجسيد للتقدمية الليبرالية. وهم الباقون من المدرسة الصارمة. كانت مقاومة السلطة الاستعمارية مؤلمـة وخطـرة غالباً. إنها ليست المهنة التي تجتذب الرجال والنساء الذين واللواتي يبحثون ويبحثن عن

حياة يمكن التنبؤ بها، أو أولئك الذين يستغرقون في الحياة التأملية. ثمة صعوبة ومناورة ضمن هذا الحيز دوماً.

طلائع الاستقلال الأفريقي تغلبوا على تحديات أكثر تعقيداً بكثير من بناة الأمة في أوروبا والأمريكيتين. دول أوروبا كانت تمثل بصورة عامة وحدات ثقافية وعرقية ــ وقبل كل شيء ـ وحدات لغوية، في حين أن الدول الأفريقية تمثل البقية المتحررة من المستعمرات المتقطعة في القارة على يد الاستعماريين الأوروبيين، واحدة إثر أخرى. وكانت الحدود ترسم وفقاً لما يلائم المتدربين الاستعماريين أو لإيجاد نسخة أفريقية من توازن القوى. ولإحباط المقاومة الموحدة وضمان أن تصبح لغة الدولة الإمبريالية اللغة المشتركة، كانت الحدود تقسّم عن عمد وفق تقسيمات قبلية.

ومع هذا فقد شرع الزعماء الأفارقة بالمهمة التعساء لخلق دول من خليط من القبائل وأحياناً اللغات الموروثة بدلاً من إعادة رسم الحدود الاستعمارية وفق الخطوط العرقية أو اللغوية. والمشرفون على هذه المسيرة، مهما كانت لغتهم، لم يغب عن ذهنهم قط احتمالات النضال المتزامنة التي ينبغي أن يقوموا بها ضد الاستعماريين والمطالبين بالسلطة المنافسين لهم ضمن أراضيهم أو حركاتهم.

ضمن هذا السياق كان موقف كاوندا دقيقاً بصورة غير عادية. عندما ناشد فورد في 19 نيسان 1975، كانت بلاده مستقلة منذ عشر سنوات (منذ 24 تشرين أول، 1994 على وجه الدقة). ولكن الاستعمار كان موجوداً حوله تتحداه نضالات مختلفة من أجل الاستقلال. كانت تحيط بزامبيا أشكال الاستعمار الأوروبي كافة: موزامبيق إلى الشرق، التي تحكمها حركة تحرير ماركسية (جبهة تحرير موزامبيق)، التي اكتسبت لتوها الاستقلال عن البرتغال، وفي الجنوب روديسيا التي كانت سابقاً تحت الحكم البريطاني، تحكمها الآن أقلية بيضاء تُهاجم بمرارة من قبل الأغلبية الأفريقية الأصيلة، ومن جميع الدول الأفريقية المستقلة، وكانت ناميبيا واقعة تحت سيطرة جنوب أفريقية، وزائير تحت الوصاية البلجيكية، يحكمها موبوتوسيسي سوسكو، الحاكم المستبد الغريب الأطوار، وفي الغرب أنيغولا التي يحكمها البرتغاليون، واستقلت في شهر تشرين الثاني وكانت تتجه نحو حرب أهلية.

أثناء زيارة كاوندا لواشنطن كان همه الأول أنغولا. لم تكن المشكلة مشكلة ماركسية بقدر ما كانت التخطيط لجلب قوة عسكرية سوفييتية إلى أفريقية. عندما استلمت «جبهة تحرير موزامبيق» السلطة من البرتغال، اعترفنا بها على الفور وبدأنا عملية إقامة علاقات دبلوماسية رغم صفتها الماركسية. وكنا قد تصرفنا بالمثل عندما اتجهت حركة ما بعد الاستقلال في غينيا ـ بيساو، التي حكمتها البرتغال سابقاً، بقوة نحو اليسار.

كانت تتنافس في أنغولا ثلاث فصائل تحرير تتزاحم للسيطرة على أنغولا مع اقتراب التاريخ السحري لاستقلالها في 11 تشرين الثاني 1975. كانت «الجبهة الوطنية لتحرير أنغولا» قوية في الشمال لأن زعيمها

هولندين روبيرتو ينتمي إلى قبيلة «باكانغو»، ويؤيده صهره موبوتو رئيس زائير. وفي الجنوب كانت قبيلة أوفيمبوندو هي الأقوى، وكان يقود حركة التحرير فيها جبهة «يونيتا» (الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا الكامل»، بزعامة جوناس زانيمبي. وكشأن كثير من الزعماء الأفارقة كان يقبل الدعم من أية جهة ممكنة، والتي كانت بالنسبة له الصين ولفترة طويلة، وبدرجة أقل بعض المؤيدين من الدول الاسكندينافية لاسيما من السويد. أما «الجبهة الشعبية» الماركسية، التي كان يتزعمها أغوستينهو نيتو، الطبيب، فكانت أقل اعتماداً على القبلية كما كانت الأقوى في العاصمة «لواندا» والمناطق المحيطة بها. ولما كانت سيطرة العاصمة، حيث تقيم السفارات الأجنبية، ذات أهمية رمزية بالنسبة للاعتراف الخارجي فإن تلك الجبهة كان لها مركزها.

لم يكن للولايات المتحدة ممثلون رسميون في أنغولا وكانت تعلم عرضياً عن مناورات الفصائل المختلفة. وكانت «وكالة المخابرات المركزية» تساعد هولدين روبيرتو بمبلغ مئة ألف دولار سنوياً من أجل الحصول على معلومات والوصول إلى المجموعة التي تعتقد وكالات مخابراتنا أنها الأكثر احتمالاً في النجاح ــ لاسيما أن روبيرتو تربطه روابط عائلية مع موبوتو، رئيس أقوى دولة في المنطقة. وفيما كانت أنغولا تغلي ثبت بالتأكيد حيادنا تجاه النزاع، وذلك عندما سُئلت في 6 كانون الثاني، عام 1975، عن أي مجموعة من المجموعات المتنافسة أكثر توافقاً على المصلحة الوطنية الأمريكية.

في العاشر من شهر كانون الثاني التقت ثلاث فصائل من الزعماء البرتغاليين في ألفور في جنوب البرتغال. وتم الوصول إلى اتفاق تنسحب بموجبه القوات البرتغالية في 30 نيسان، وتحل محلها قوات مسلحة من الفصائل الثلاث، والتي ستشكل أيضاً حكومة مؤقتة. ورحبت صحيفة نيويورك تايمز باتفاقية ألفور واعتبرتها سابقة سيكون لها تأثيرها العميق بالتأكيد على التطورات في روديسيا وجنوب أفريقية(1). ومع هذا فقد علق مراسلها في أنغولا الخبير بشؤونها على لسان أحد المراقبين الذين تساءل مَن مِنَ الزعماء الثلاثة سيبقى حياً بعد سنة من الآن[2].

في أعقاب لقاء ألفور طلبت وكالة المخابرات المركزية (CIA) في 22 كانون الثاني 1975 من لجنة الأربعين صلاحية زيادة دعمها روبيرتو إلى 300 ألف دولار في السنة. رفضت اللجنة زيادة الدعم إلى سافيمبي وقالت فيما بعد إن الزيادة المتواضعة لروبرتو قد أثارت أعمال التصعيد التي تلت. وهذه حماقة. فنحن نعرف من الوثائق السوفييتية أن الخطة السوفييتية لتسليح الجبهة الشعبية بشكل واسع قد تقررت في شهر كانون الأول 1974، أي قبل شهرين، وأن الكوبيين كانوا يدربون أفراد تلك الجبهة منذ عدة سنوات. وبدأت تصل الأسلحة والمعدات السوفييتية من خلال ميناء بازافيل في الكونغو بعد أن تم بناء خط للأنابيب في بداية الربيع، وسرّعت كوبا من تدريبها العسكري لتلك الجبهة.

في الوقت الذي كانت فيه إدارة فورد معارضة للماركسية المقاتلة فإنها لم تعمد قط للحيلولة دون وصول الحكومات الماركسية أو شبه الماركسية من الوصول إلى الحكم في أفريقية طالما أن جذورها

محليـة. لقد حافظنا علـى علاقات عمل مع بلدان أفريقيـة يسارية مثل الجزائر وتانزانيـا، وكما أشرت، اعترفنا بالأنظمة الماركسية المتعاقبة في المستعمرات البرتغالية الأخرى. كان خطنا الأحمر هو التدخل من خارج القارة والهيمنة من موسكو.

الرسالـة التـي وصلت من كاونـدا في 19 نيسان، 1975 كانـت تفيد أن الخط الأحمـر تم اختراقه في أنغـولا. وقـال كاوندا بحماسة إنه كان يتكلم باسم جميع رؤساء جيران زامبيا (وذكر على وجه الخصوص جوليوس نيريري رئيس تانزانيا، وموبوتو رئيس زائير، وساموراماتشيل رئيس موزامبيق). وقال إن النزاع الأولـي فـي أنغولا لم يكـن محلياً خالصاً. ولم تكـن «المنظمة الشعبية» .. مجـرد مجموعة ماركسية مثل منظمة «جبهة تحرير موزامبيق» بل أداة في يد موسكو:

فورد: هل ثمة خلافات إيديولوجية أساسية في المنطقة؟

كاوندا: «المنظمة الشعبية» وزعيمها نيتو تابعان لموسكو.

كيسينجر: وهل تُمول من قبل موسكو؟

كاوندا: نعم هذه المنظمة تمولها موسكو.

لهـذه الأسبـاب جميعاً، حث كاوندا مُدعياً باسـم الرؤساء الآخرين فورد على دعـم سافيمبي بوصفه رئيساً لدولة أنغولا الناشئة (أقول «مُدعياً» لأنه مع نشوب الأزمة تلاشى عدم العداوة بين الزعماء الأربعة أو أن كاوندا بالغ في ذلك بداية):

> زملاؤنـا تجاهلـوا سافيمبي في الماضي، ولكنه ظهر هذه المـرة كرجل يستطيع أن ينقذ الوضع. قال موبوتو: إن نيتو من المنظمة المذكورة لن يقبل بروبرتو رئيساً لأنغولا الحرة. هولـدن روبرتو مـن «المنظمة الوطنية لتحريـر أنغولا» لن يقبل بنيتـو. الفرصة الوحيدة لدينـا أن نضـع أحداً من «منظمة الوحدة الأفريقية». مع إمكانيـة اقتراح أن يقود كل من نيتو وروبرتو حزبه، وأن يصبح سافيمبي بمثابة زعيم تسوية للثلاثة.
>
> توسـع كاوندا فـي اقتراحه وأشـار إلى أن مثل هـذه الاستراتيجية ستحظـى أيضاً بدعم ساموراماتشيل رئيس موزامبيق المستقلة حديثاً:
>
> تجاهلنـا سافيمبي حين كان يقاتل في الأدغـال، على الرغم من أنه التمس من زامبيا أن نعتـرف به. وقال إذا لـم تعترف زامبيا به فإن «منظمة الوحـدة الأفريقية» لن تعترف به أيضـاً، احتل المقـام الأول في أنغولا ونحـن غيرنا آراءنا. استخلصنا أننـا إذا لم نجعله يتزعـم فإنـه يستطيـع أن يسبب لنـا المتاعب. لهذا تبنـت زامبيا عضويتـه في «منظمة الوحـدة الأفريقيـة» ثم طلبنا منه أن يحضر ويتحادث معنـا جميعاً في «حزب الاستقلال

الوطنـي المتحد» (UNIP). لقد تأثرنـا بإخلاص سافيمبي وصـدق مقصده. طلبنا من الرئيس نيريري أن يقابل موبوتو أيضاً. كلاهما كانا متأثرين..

سافيمبـي رجـل متواضع ويتحلـى بصفات جيدة. جميعنـا في جنوب أفريقيـة، بما فينا ماتشيل، تأثرنا بشخصيته. هذا هو اكتشافنا.

أخيـراً طلـب كاوندا تأييـد العقيد ايرنيستـو أغوستودي ميلـو أنتونيس، وزيـر الخارجية البرتغالي المعتدل:

قابلـت ميلـو أنتونيـس لأول مرة عندمـا كان وزيراً بـدون حقيبة. وعندما قابلتـه مؤخراً بوصفـه وزيراً جديداً للخارجية سألته عن وجهـة نظره في سافيمبي. فقال: إنه كان قلقاً بشـأن نيتو، الذي كان الحزب الشيوعي في البرتغال يؤيـده. ثم أضاف إن البرتغاليين لا يستطيعـون تأييد نيتو لأنـه أحرجهم مراراً. قال إنه يود أن يخبرنا أنه صادق على مسائل معينـة من أجـل أن يغير رأيه ويتّبع الخـط الشيوعي. لهذا السبب قال ميلـو أنتونيس إنه سيؤيد سافيمبي. قلت لميلو أنتونيس إننا معشر الزامبيين لدينا المشكلة نفسها مع نيتو.

سألتـه ما إذا أيدت «منظمة الوحدة الأفريقية» سافيمبي «فهل سيبعد هذا المجموعتين الأخريين في الانتخابات»؟. كاوندا يحشد العوائق كعرض فاضح للسذاجة، وأجاب: «بغض النظر عن نتيجة الانتخابات، فإن سافيمبي سيكون الرئيس». لم يبين كيف ستُنفذ هذه المناورة، ولكنه لم يبد أي شك في معقوليتها.

مناقشات استراتيجية أنغولا: المكتب الأفريقي

أقنـع عرضـ كاوندا فورد كما أقنعني بأن الخطر في أنغولا لـم يكن مجيء حكومة ماركسية في لواندا ولكـن انتصارها عن طريق التدفق الكبير للأسلحة السوفييتية. كنـا نتلقى تقارير استخباراتية عن جسر جـوي من الأسلحة إلـى برازافيل، حيث كانت تنقل منها بالسفن إلى لواندا. وقد قيل إن الأسلحة المنقولة بحـراً كانت على متـن 24 سفينة، وإن المراكب اليوغوسلافية سلمت 16 شاحنـة من الأسلحة إلى لواندا. وأثنـاء زيـارة كاوندا قُدّر أن مـا بين سبعة آلاف وعشرة آلاف مقاتل من «الجبهـة الشعبية» كانوا يُجهزون ويدربـون على يد السوفييت والكوبيين. وهذا رقم كبير بالنسبة إلى أفريقية، غيّر ميزان القوى لاسيما في لواندا. وسرعان ما تُرجم هذا إلى هجوم للجبهة المذكورة على الأعضاء الآخرين في الحكومة الانتقالية. وطُردت قوات روبيرتو سافيمبي من العاصمة وضواحيها. المنتصر في القتال على لواندا سيحظى بادعاء بديهي بالاعتراف الدولي.

عندما أصبحت أكثر اطلاعاً على تعقيدات السياسة الأفريقية، علمت أن حافز كاوندا كان أكثر تعقيداً ممـا عرضه، وأن العداوة بين الرؤساء الإقليميين أشد غموضاً. كان كاوندا متورطاً في السياسة الداخلية

للجبهـة الشعبيـة وكان يؤيد جماعة منشقة برئاسة دانيال تشيبندا وهـي جماعة هزمها نيتو. وسرعان ما اتضـح أن تأييد نيريـري لسافيمبي كان أقل صلابة مما كان يعتقد كاوندا (نيريري سوف يؤيد الجبهة في المرحلة الأخيرة). أما ماتشيل فيبدو أنه لم يساند سافيمبي على الإطلاق.

لم يغير كل هذا من التحدي الأساسي، والذي كان كثافة التدخل السوفييتي بمعدل لم تشهده أفريقية منذ 15 عاماً، وما لم يُقاوم فإن سلسلة كاملة من الحكومات الهشة يمكن أن تتكيف مع التوجهات المسيطرة التـي ظهرت. ولهـذا سألت، بعد زيارة كاونـدا، مكتب الشـؤون الأفريقية في وزارة الخارجيـة، أن يقترح خيارات لسياسة الولايات المتحدة في حالة ما إذا كانت أحكام الرئيس الزامبي قد ثبتت صحتها، وطلبت مـن وكالة الاستخبـارات المركزية CIA أن تضع برنامجاً لمساعـدة سافيمبي، وكلا الخيارات والبرنامج ستقدم إلى الرئيس.

أثـار هذا مجابهة مع الأمزجـة الحاكمة في مكتب أفريقية التابع لـوزارة الخارجية. كلمة موجزة عن تنظيم الدائرة لا بد منها لشرح ما سيلي.

المستشـارون الأساسيـون لوزير الخارجية هم أمنـاء السر المساعدون، ولا سيمـا أولئك المسؤولين عـن المناطق المختلفـة في العالم، وهم يقيمون في الطابق السادس للـوزارة. إنهم يراقبون الأحداث في مناطقهـم، ويضعون أفـكاراً للسياسة الأمريكية، ويمثلـون وزارة الخارجية في المـداولات بين الوكالات، ويضعـون معظم البرقيات الصادرة التـي تحمل تعليمات للسفراء في أماكنهم. وهـم مسؤولون أيضاً عن اختيـار مـا يلفت انتباه الوزير المقيم في الطابق السابع، مـن فيض البرقيات الواردة. ولما كان حتى أكثر الـوزراء إتقاناً ومعرفة لا يستطيع أن يحيط بكل التفاصيل، فـإن مساعدي الوزير، موظفيهم لديهم نطاق واسع من الصلاحية في صياغة توجه السياسة الأمريكية.

فـي البيروقراطيـة الكبيرة نجـد خطر الغموض في التفاصيـل، وبالتأكيد على المُلّـح أكثر من المهم موجدين دائماً. إن الأمين العام المساعد، في تنفيذه لتوجيهات الرئيس ووزير الخارجية، هو الذي ينبغي أن تكـون السياسة الأمريكية في منطقته متماسكة، وهادفـة ومتساوقة مع السياسة المرسومة. وعندما لا يتفق مع الوزير عليه أن يقول هذا صراحة، وإذا فُرض عليه الأمر يظل من واجبه أن يحرض على أن تُنفذ المصلحة الوطنية. وإذا وجد أن هذا لا يتوافق مع قناعاته فعليه أن يستقيل.

لمـا كان معاون الوزير مهماً جداً في صياغـة السياسة وحاسماً كذلك في التنفيذ، فقد عينت موظفي وزارة الخارجية الأكثر قدرة والمحترفين الذين أستطيع إيجادهم لهذه المناصب (والوحيد الذي كان من خـارج الوزارة هو وليام روجرز، الذي كان يعمل أميناً عاماً مساعداً للشؤون الداخلية الأمريكية). لم يكن هنـاك من هم أكثر قدرة وإخلاصاً، وفي الوقت نفسـه مجموعة مستقلة من الأمناء العامين المساعدين، مـن فيليـب حبيب في آسيا، ولترموندیل ثم آرثر هارتمان في أوروبـا، وجوزيف سيسكو ثم روي أثرتون في

الشرق الأوسط، ووليام بافيم في شؤون المنظمة الدولية، وتوماس ابنديرز في الشؤون الاقتصادية، كانوا يصـرون علـى توضيح وجهات نظرهم بجـرأة إذا ما شعروا أنني بحاجة إلى إرشـاد، كما كانوا في الوقت نفسه ضمانة للتنفيذ الفعال عندما يُتخذ القرار.

المكتـب الوحيـد الـذي كان لـه طريقته الخاصة فـي العمل هـو مكتب «الشـؤون الأفريقيـة». إلى أن أصبحـت وزيراً كانـت غالبية موظفي وزارة الخارجيـة يمضون أشغالهم كافة في المكتـب الذي عُينوا به فـي وقت سابـق. لذا كانوا يميلون إلى عكس وجهة نظر المناطق التـي أمضوا فيها معظم حياتهم المهنية بالإضافة إلى الحكمة التنفيذيـة للأكاديميين، وللعاملين الآخرين في مجالات مسؤولياتهم.. أما بالنسبة للموظفيـن الذيـن يتعاملون مع أوروبا أو آسيـا، أو الشرق الأوسط فإن هذا المنظـور الإقليمي كان يرتبط حتمـاً باستراتيجيـة أمريكا في الحرب الباردة الواسعـة، لأن كل واحدة من هذه المناطق كانت تضم قوى كبيرة ومتأثرة بالسياسة السوفييتية، وكانوا مضطرين أن ينظروا إلى مشكلاتها من منظور عالمي. ولكن فـي المناطـق الراكدة سياسياً ـ مثل أمريكا اللاتينية إلى حد ما وأفريقيا بالمعنى الواسع ـ لم تكن تُشجع وجهات النظر الجيوسياسية (حاولت تجاوز ضيق الأفق هذا بأن أمرت بتعاقب 20% من كل مكتب إقليمي كل سنـة. ولسوء الحظ فإن هذا الإجـراء لم ينجح نظراً لأن كل مكتب كان يُبعد موظفيه الأقل كفاءة بهذه الطريقة قبل أن يُنفذ التعاقب الكامل، وتخلي من جاؤوا بعدي عن هذا البرنامج).

حتـى وقت متقدم مـن السبعينيات كان نمط خاص من الموظفين بحدود مكتـب أفريقية مناسباً لهم ولمزاجهـم. بانعزالهـم كمكتب عن الحرب البـاردة، كان المكتب البيئة المثاليـة لنشر نسخة جامدة من الدبلوماسية: تقوم على استقرار في التقدم الاقتصادي، والسلام في المؤسسات الاقتصادية، والعلاقات الدوليـة وفـق دبلوماسية متعددة الأطراف وقانـون دولي. ولما كانوا لا يشكلون جزءاً مـن التيار الأساسي لصنـع السياسـة، فإن كثيراً من موظفـي مكتب أفريقيا قد أوجـدوا نوعاً من عقلية الحصـار التي حولوا بهـا عزلتهم إلى ادعاء بالتفوق الأخلاقي معتبرين أنفسهم مدافعين عن المثالية الأمريكية. وبتصميمهم علـى إبقاء الحرب الباردة خارج منطقتهم وحمايـة أفريقية من النهب، أصبحوا الرواد العاطفيين لوجهة النظـر القائلة إن القضايا الأفريقية لها طبيعة خاصة تتطلب نوعاً منفرداً من الحل «الأفريقي»: لا أسلحة بل مساعدة اقتصادية، لا انحياز بل مهارة أفريقية باطنية في المناورة بين القوى المتنافسة بدون إفساد العلاقة مع عناصر السلطة التاريخية.

لـم أجابـه وجهة نظر المكتب قبـل أزمة أنغولا، لأنه طالما في ذلك الحيـن كانت جميع القوى الكبرى بمعـزل عـن أفريقية، كانت تلك الوجهة ذات جدوى كبيرة. ولكن في أنغولا عام 1975، كانت المشكلة على وجه الدقة أن الحرب الباردة كانت تقتحم القارة. لقد كان من الجيد تماماً التحدث عن الرغبة في حلول أفريقيـة. ولكـن لم يكن مـن سبيل إلا أن تجابه الأكثرية غيـر الشيوعية في أنغولا ـ أو فـي أفريقية ككل ـ

وتنتصر على «الجبهة الشعبية» المسلحة بقوة بالسلاح السوفييتي والتي يدربها الكوبيون. ولذا أصبحت المشكلة ما إذا كانت مصلحة أمريكا في أنغولا أو أفريقية كافية لتسويغ مقاومة الاستيلاء بالقوى الذي رسمته موسكو. وهذا بدوره ترجم إلى السؤال الذي طرحته على مكتب أفريقية: «انسوا لبرهة مدى أهمية أنغولا نفسها، أنا مهتم بانطباع نيريري وكاوندا وموبوتو عندما يرون أننا لم نفعل شيئاً».

بصورة كلاسيكية يقوم الأمين العام المساعد بتحضير ورقة خيارات تشرح ما ينبغي مقاومته، والتكاليف، والمخاطر، وإذا كانت هذه وجهة نظره، فالوضع أن نبقى بعيداً. ولكن الموظف الذي اخترته لرئاسة المكتب لم يكن مستعداً لأن يقوم بما هو أكثر من إعادة تأكيد الحقائق التقليدية لمكتب أفريقية بدون الإشارة إلى الظروف التي تواجهنا حقاً. كان ناتانيل ديفر قد خدم بجدارة وشجاعة سفيراً في تشيلي من عام 1971 حتى 1973. بما في ذلك الفترة التي حدث فيها الانقلاب العسكري ضد سالفادور الليندي. لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً لأن الولايات المتحدة لم يكن لها دور مباشر في الإطاحة باللندي[4]. ومع هذا له نشاط جم تجاه «لجنة الكنيسة» وفي الإعلام.

كنت قد زكّيت تعيين ديفيز أميناً عاماً مساعداً في أفريقية. فقد كنت أقدر شخصيته وقدرته، ورأيت أنه لم يُعامل بطريقة عادلة، وكنت أخشى على عمله إذا لم يُعط منصباً رفيعاً. الدبلوماسي المحترف ينبغي ألا يتعرض للعقوبة لأنه تصرف بأمانة في مركز صعب لا يحسد عليه، فتقديمه مثل هذه التضحية سيدمر خدمته المهنية.

اعترض الشيوخ الليبراليون، بزعامة وليم فولبرايت، في لجنة العلاقات الخارجية بشدة على تعيين ديفيز. واحتجت «منظمة الوحدة الأفريقية» بشدة. ولكن فورد وأنا وقفنا إلى جانب ديفيز، وبيّنا أنه لا تراجع عن هذا الموقف: إذا أُبعد ديفيز فلن يكون ثمة تعيين آخر لأمين عام مساعد في الشؤون الأفريقية طوال ما تبقى من ولاية فورد، وسيقوم أمين عام مساعد مؤقت بالقيام بالمسؤوليات. وبعد معركة استمرت ثلاثة شهور تثبّت أخيراً تعيين ديفيز، وهذا ما ساعدت عليه هزيمة فولبرايت في انتخابات عام 1974 وحل محله رئيساً جون سباركمان من ألاباما. وأدى ديفيز اليمين القانونية في 2 نيسان 1975 أي قبل أسبوعين من زيارة كاوندا وفي الوقت المناسب كي يشتغل في دوامة أنغولا[*].

(❖) في ضوء مشاحناتي الأخيرة مع ديفيز قد يهتم القارئ بالحماسة التي دافعت بها عنه في 22 شباط 1975 في محادثة هاتفية مع ميغ غرينفيلد التي كتبت ضده مقالة عدوانية في «الواشنطن بوست».سألتها: «ماذا فعل نات ديفيز؟ إذا كنت تريدين المؤهلات فسمّ لي خمسة من موظفي وزارة الخارجية أفضل منه. إنه رجل عمل في فيلق السلام حيث دار أفريقيا. ودرّس في جامعة هوارد، وكان كاهناً في كنيسة زنجية. إنه رجل يتعاطف مع الزنوج. لماذا ينبغي أن يكون الضحية؟» تساءلت غرينفيلد ما إذا كنت أظن أنه الاختيار الصحيح. أخبرتها أن تتفحص من عينتهم وأن تجد حالة واحدة لم أقتل نفسي من أجل اختيار أفضل رجل للعمل. أنا أقدره عالياً، وكان الخيار بين دبين جوزيف سيسكو لمنصب «الأمين العام للشؤون السياسية» وتابعت: لو أن سيسكو قبل رئاسة جامعة «لكنت اخترت ديفيز لذاك المنصب. عينته بدلاً من ذلك مديراً عاماً للشؤون الخارجية.. أقول إنها ما كارثية. على الأقل عندما أنهيت خدمات جون سريفبس (الخبير الصيني في عصر ماكارثي) كان ذلك بسبب آرائه. أما هو (نات ديفيز) فقد هوجم لأنه كان سفيراً في تشيلي. على هذا الأساس لا يستطيع أي سفير أن يشعر بأنه يمكن أن ينال منصباً آخر.. إنه مرض الذي يتم التعبير عنه في الخارج.

كان ديفيز راغباً، بل تواقاً، في اتباع الحكمة التقليدية، التي تعني عدم التدخل. ولكنه لم يكن مستعداً على نحو واضح للعمليات السرية، أو لمجابهة جديدة مع الكونغرس، في أعقاب خبرته مع «لجنة الكنيسة». وحسب تقديره المنشور كان ديفيز يخشى الدعم المادي السري المتواضع لهولدين روبيرتو الذي أُقر في شهر كانون الثاني: «لم أكن أعرف أن مثل هذه البرامج ما تزال سارية في أعقاب تحقيقات الكونغرس والاهتمام بالنشاطات الأمريكية السرية في الخارج». بمعنى آخر كان ديفيز لديه مخاوف حقيقية تجاه العمليات السرية من حيث المبدأ.

مع الأسف لم تكن ثمة طريقة معقولة لنقحم أنفسنا في أفريقية ما بعد الحرب الأهلية إلا عن طريق عملية سرية. الإعلان عن تدخل رسمي في الحرب الأهلية الأنغولية سيواجه بمعارضة من قبل الدول الأفريقية كافة، بما في ذلك الدول التي تطلب مساعدتنا. قد يناشدون مساعدتنا ولكنهم غير مستعدين للمصارحة بذلك خشية شرعنة سلسلة من التدخلات الخارجية. كما أن التدخل لا يمكن أن يكون سرياً. ثماني لجان في الكونغرس قد تطلب الاطلاع والشهادة. وقد أُطلعت بالفعل من خلال أربعين شهادة في فترة ستة أشهر. ومعارضة ديفيز لعملية سرية كانت تعني من حيث المبدأ أن المسألة التي أراد الرئيس أن يعالجها قبل غيرها لا يمكن التعامل معها: المصلحة الوطنية التي ترغم الولايات المتحدة على مقاومة النشاط السوفييتي في جنوب أفريقية بالوسائل العملية ينبغي أن تكون سرية بالضرورة.

تنتمي أنغولا إلى فئة العمليات العسكرية السرية مثل غواتيمالا، وخليج الخنازير، والحرب في لاووس، والعملية الكردية التي تختلف عن العمليات الاستخباراتية الكلاسيكية السرية بأنها ليست سرية حقاً. لما كانت جميعها متورطة في عمليات عسكرية من نوع ما، فلا سبيل للتظاهر أنها لم تجر. الجانب السري فيها له وجهان: لما كانت نفقاتها لا تمر عبر قناة الميزانية الطبيعية للكونغرس، فلدى الكونغرس فرصة أن يقبل بما لم يصادق عليه. والوجه الثاني أن الحكومة الأمريكية لا تعلن رسمياً عن العمليات السرية. وهذا ما كان يمكّن الحكومات الأخرى، أن تتبنى موقفاً مكبوتاً أيضاً (*). اللاعبون الرئيسيون في جميع الجوانب كانوا يعلمون في الواقع ما كان يجري في أنغولا، فالتصريح العلني من جانب الولايات المتحدة ليس من شأنه إلا أن يرغم الحكومات الأخرى أن ترد بشكل أكثر انفتاحاً. وهذا ما يجعل الحل الدبلوماسي أصعب تحقيقاً.

ثمة سبب إضافي يجعل المكتب الأفريقي متعثر الخطا وهو أن أي برنامج سري يتعلق بأنغولا ينبغي أن يعتمد على زائير وطلب مساعدة رئيسها، موبوتو، الذي كان سلوكه حتى في ذلك الحين يكاد يكون فاضحاً. سوف أتحدث عن موبوتو في الفصل الثلاثين. أما بالنسبة للأوضاع الراهنة يكفي الإشارة أنه

(*) طيران طائرة -2 لا فو الاتحاد السوفييتي التي بدأت في عهد إيزنهاور مثال جيد على ذلك. كان من الواضح أن الزعماء السوفييتين يعلمون أن هذه العمليات تجري، ولكنهم لم يردوا بعنف إلا بعد أن أُسقطت طائرة واعترف إيزنهاور علانية، أن هذا كان يجري.

كان يحصل على مؤازرة إدارات أمريكية وأوروبية متعاقبة لأنهم كانوا يخشون حدوث فوضى في زائير أكثر من اعتراضهم على سلوك موبوتو. على مدى قرابة 40 عاماً دعمت كل إدارة أمريكية استقلال زائير وحكم موبوتو. وقد ناور الرؤساء كينيدي وفورد وكارتر وريغان من أجل المحافظة على وحدة أراضي زائير ضد هجمات من جيرانها المتطرفين. وإدارة كلينتون، التي تعاونت من أجل الإطاحة بموبوتو، تابعت بصورة أساسية السياسة ذاتها تجاه خليفته الستاليني لورينت كابيلا، الذي حكم البلاد على طريقة موبوتو وكان سجله بالنسبة لحقوق الإنسان يبعث على الأسى بصورة أشد.

كانت أطول حدود لزائير هي حدودها مع أنغولا. ولأن قبائل الحدود المتفرقة تعيش في كلا البلدين، فقد شاركت في حروبهما الأهلية. وفي عام 1975 تدخل موبوتو في حروب أنغولا الداخلية، وفي عام 1997 شاركت أنغولا في إنهاء حكم موبوتو.

في عام 1975 كان لا بد لأي تدخل أمريكي في أنغولا أن ينطلق لوجيستيكياً من زائير. قلت في اجتماع للموظفين لدي: إنني أفضل رفاقاً آخرين لموبوتو، ولكنه الوحيد في الساحة. البديل كان القبول بالخطة السوفييتية لتغطية التوازن الأفريقي. إذ من الأسهل كثيراً التعامل مع موبوتو مع حكومة تسيطر عليها موسكو في لواندا.

عندما تختار بيروقراطية وزارة الخارجية ألا تعارض جبهياً سياسة لا توافق عليها، تستخدم مهاراتها في المراوغة. لم تقدم لي ورقة الخيارات التي طلبتها قط. وبدلاً من ذلك تلقيت عظات لا تتناسب مع المشكلة. وهكذا، تلقيت من مكتب أفريقية مذكرة في 7 أيار موقعة من ديفيز ضد «أي تدخل مباشر زائد عن الحد في النضال السياسي لأنغولا ما قبل الاستقلال.. يمكن أن يتسع النفوذ الأمريكي في أنغولا كثيراً عن طريق توسيع المساعدة عند الاستقلال». ولكن ماذا يحصل إذا نشبت حرب أهلية في يوم الاستقلال؟ ماذا يعني «التدخل الزائد»؟ هل كانت التوصية تعني أن الولايات المتحدة ينبغي ألا تزيد المساعدة الاقتصادية لأية حكومة أنغولية حتى لو كانت دكتاتورية شيوعية نصّبها جسر جوي سوفييتي ومستشارون سوفييت وكوبيون؟

لم يجب ديفيز عن هذه الأسئلة، وبدلاً من ذلك ذهب إلى أفريقية ليقدم نفسه مساعداً جديداً لوزير الخارجية، وعاد في 24 أيار، عندما استلم التوصية التالية:

> نحن لا نعتقد أن مصالح الولايات المتحدة في أنغولا قوية بما يكفي كي نضمن مستوى عالياً من التدخل الأمريكي أو التزاماً واسعاً بتقديم موارد أمريكية، ولاسيما تقديم أسلحة.
>
> مرة أخرى لم يكن ثمة دليل على تدفق سوفييتي للأسلحة يخل بالتوازن في نزاع أفريقي؛ هكذا كان موقف المكتب التقليدي من النزاعات الأفريقية البحتة. وطرح السؤال أين هي

هذه المصالـح الأمريكية أو لماذا، في مواجهة إمداد سوفييتي مستمر بالسلاح للفصيل الماركسي، أما مساعدة المجموعة غير الشيوعية بالأسلحة الأمريكية فأمر مرفوض.

وجهـات النظـر المختلفة في صميم هذه المداولات انعكست فـي هذا النقاش بين ديفيز وبيني في 16 تموز:

ديفيـز: إذا اتخذنـا خيار الامتناع عن القيام بأي شيء، يمكـن أن نكون فعالين للغاية في ذلك لدى المجموعة الأفريقية.

كيسينجر: أين؟ في زائير؟ في زامبيا؟

ديفيز: اجتماع منظمة الوحدة الأفريقية (OAU) في 28 من الشهر.

كيسينجر: ولكن من هي الدول المعنية التي سوف تتأثر؟

هل ستتأثر زائير من عدم مشاركتنا؟

ديفيز: لا..

كيسينجر: .. وماذا عن زامبيا؟

ديفيز: نعم؛ أعتقد ذلك.

كيسينجر: أشك في ذلك. ماذا عن نيريري (زعيم تانزانيا)؟

ديفيز: نعم.

كيسينجر: إذا تأثر، ما هي الاستنتاجات التي سيستخلصونها؟

ديفيز: على الأفارقة أن يشرعوا بالتحقق أنهم مسؤولون عن مصيرهم.

كيسينجر: افترض أنهم تحققوا أن مصيرهم مع أوروبا الشرقية، فهل نستخدم الصينيين لتحقيق التوازن؟

ديفيز: لقد كانوا مدهشين في نجاحهم في العقد الماضي.

كيسينجر: كان ذلك قبل أن يجعل السوفييت أحدهم يكسب.

كان لدى المكتب الأفريقي الكثير مما يعلمني إياه عن أفريقية. لم أكن مطلعاً على العلاقات الداخلية بيـن الزعمـاء الكبار. ويمكنني أن أستفيد من التحليل المفصل للمخاطـر ولماذا كان المكتب مرناً للغاية تجاه قيام الحكومة الشيوعية في أنغولا التي أوجدها المدربون الكوبيون والسلاح السوفييتي. بدلاً من ذلك تلقيت تكراراً للابتهال المألوف الذي لا طائل تحته من أجل مواجهة أزمة نوعية كنا نسعى إلى تجاوزها.

بعـد استـلام مذكرة ديفيـز في 24 أيـار، رحل ثانية إلـى أفريقيا مـن أجل جولة أخـرى من زيارات

استهلاليـة. ونظراً للضغوط في أنغولا، والمواعيد الأخيـرة المتنوعة للعمل، فإن إقاماته المؤقتة. كان لها نتيجـة عمليـة في أن يأخذ رئيـس المكتب الأفريقي المبـادرة من اتخاذ القرار فـي واشنطن. ومع تجنب المسائـل، حاولـت أنا والرئيـس أن نتعامل معهـا. وفي 18 حزيران بعثنـا باثنين من كبـار موظفي وزارة الخارجية إلى زائير للاطلاع على الوضع طبيعياً، وهما شيلدون فانس، سفير سابق في زائير، وولتر كاتلر المديـر الإقليمي لزائير (وفيما بعد سفيراً فيها). كانـت التعليمات الموجهة إليهما الحصول على توصية موبوتو والقيام «بحوار صريح» معه حول النتائج المتوقعة. وكانت تجربتي مع موبوتو أنه مهما كان تصرفه العام غريباً، فقد كان محللاً حاد الذكاء لمتطلبات بقائه.

فـي 27 حزيران أخبرني فانـس وكالتر، ومعهما إدوارد مولكاهي، نائب ديفيـز (حيث كان ديفيز مرة أخـرى فـي واحدة من جولاته الاستطلاعية). أشـاروا إلى أن موبوتو، الذي لا يريـد حكومة يسيطر عليها الشيوعيـون قرب حدوده، طلب مساعدة أمريكية ليدحر «المنظمة الشعبية».وهو مستعد أن يساند الجهد الأمريكي بقواته. وفيما يلي مقتطفات من حديثي مع فانس ومولكاهي:

كيسينجر: إذا كنا سنفعل ذلك فينبغي أن نقوم بما نريده بلا تردد. هل نستطيع أن نكسب؟

فانس: إنهم يعتقدون ذلك.

كيسينجر: ما هو رأيك؟

فانس: يحتاج الأمر إلى نصيحة مباشرة. أرى أن مطلبنا الأدنى يتجلى أن نتجنب جعل نيتو يكسب.

كيسينجـر: وصيتـي، إذا كنـا سنقـوم بذلـك، ينبغـي أن نحـاول الكسب. هـل يستطيـع السوفييت التصعيد؟

فانـس: ليس بالسرعة التي نستطيعها. إذ لدينـا مساحة شاسعة نستطيع الإمداد من خلالها وهم لا يتمتعون بذلك.

كيسينجر: هل ينبغي أن نحاول إشراك كاوندا؟

فانس: لا أعرف الكثير عن علاقات كاوندا وموبوتو. كاوندا ونيريري يؤيدان سافيمبي.

مولكاهـي: إنهمـا يحثاننا على تأييد سافيمبي. أعتقد أنه ينبغي أن ندعهما يعرفان أننا نساعدهما ـ ولكن ليس بالتفصيل.

وفيمـا كانـت واشنطـن تتردد كان تدفـق الأسلحـة السوفييتية يستمر علـى أنغولا بكميـات متزايدة. واستمرت هجمات المنظمة الشعبية على قوات روبيرتو ونجحت في طردها من معظم أرجاء لواندا. ووفقاً لمقابلـة صحفية أجريت مع نائب رئيس الوزراء الكوبـي كارلوس رافابيل رودريجيز، في 10 كانون الثاني، 1976 وصل إلى أنغولا في نهاية ربيع السنة السابقة 230 مستشاراً عسكرياً كوبياً.

obeikandi.com

مـن جانبنا لـم تتخذ «وكالة الاستخبارات المركزيـة» أية إجراءات سريعـة للاستجابة إلى طلبي من أجل برنامج لمساعدة كاوندا وسافيمبي. وأخيراً، أوصت الوكالة بإنفاق مقدار 6 مليون دولار من أجل هذه المساعدة ـ وهو مبلغ محدود بالمقارنة مع ما تعهد به السوفييت.

وفـي 16 تموز حُسمت الأمور بعـد أن أخبرني ديفيز أن الوقت تأخر كثيراً مـن أجل التصرف لأن نيتو حقـق السيطرة. وكان ذلك بعـد ثلاثة أشهر فقط من إعلان المكتب الأفريقـي والمخابرات المركزية أن هولدن روبيرتو بات الأقوى بين المتنافسين ولذا لم يعد يحتاج كثيراً إلى المساعدة:

خـلال السنة الماضية طالبت تكـراراً بتحليل الوضع، ولكن «المكتب الأفريقي» قال إنه لن يكسب أحد لذا ينبغي ألا نتدخل. ثم قالوا بعد ذلك إنه إذا كان ثمة أحد سيربح فهو روبيرتو..

مـن الصعب فهم هذا التغير في الرأي. إنها نفس المجموعـة التي أفسدت طلباتي من أجل الحصول علـى إجابـات بعدم إعطائي جوابات أو بطلبي إعطاء مستنـدات مكتوبة بعدم تقديم أي شيء مكتوب على الـورق. كيـف يأتون إلي اليوم بحجة أن الأمر انتهى ـ إذا تركنا جانبـاً مسألة الحكم على الأمور. قد تكون علـى خطأ أو صـواب، ولكن مجموعة من الاختصاصيين من واجبها أمـام قيادتها أن ترفع أعلام الخطر محذرة. وإذا لم نفعل شيئاً فسأكون أنا المسؤول.

أعلمت ديفيز أنني أوصي بمساعدة سرية للقوى غير الشيوعية في أنغولا وقلت له إنني سأكون مستعداً لأن أرفع مذكرة من جانبه تعارض مشروع الرئيس:

> إذا أصبحـت أنغولا شيوعية، فسيكون لذلك تأثيـره في أنغولا وزائير وزامبيا.. إلخ. وهذه الـدول ستستخلص بوضوح أن الولايات المتحدة لم تعد عاملاً فاعلاً في جنوب أفريقية. وسندفـع ثمن ذلك لعدة عقود. كمـا أن ذلك سيؤثر في توجهها. سيستنتجون أنه إذا كان السوفييـت يستطيعون تقديم مساعـدة كبيرة ونحن لا نستطيع ذلك، فهذا يعني أنهم هم العنصـر القـوي الذي ينبغـي التعامل معه. ولكننـي لا أستطيع أن أفهـم كيف لا يستطيع الاختصاصيون أن يجلبوا انتباه قادتهم إلى أن هناك مشكلة. إنه ليس بالشيء اليسير ما يجري في جنوب أفريقية..
>
> .. وحـول أنغولا سوف نرفع التقريـر إلى الرئيس غداً. أنا واثق أنه سيوافق على 6 ملايين دولار. ستُرفـع إليـه وجهة نظـر وزارة الخارجية بـدون تغيير أو اختصـار، وسيطلع على تقاريـرك أولاً أيضـاً. وسيطّلـع على وجهة نظـر الخارجية وعلـى الآراء الفرديـة أيضاً. وتقديري أنه سيذهب قُدُماً.

كانـت واشنطن فـي تموز 1975 في وضـع سُريالي. كنا نُهاجـم بعنف من قبل ألكسنـدر سولزنستين والمحافظيـن لأننـا لم نكن صارمين كفايـة تجاه الشيوعيـة، ونُنتقد من قبل الليبراليين (ومن المكتب

الأفريقي في وزارة الخارجية) بأن هاجس الشيوعية يستبد بنا. وكان انتقاء الكونغرس مؤكداً إذا ما ذهبنا بعيداً وتورطنا وذلك نتيجة للجدل حول فيتنام الذي انتهى منذ بضعة أشهر خلت.

ومع هذا لم يكن ثمة وسيلة لتجنب التحدي الذي نواجهه، والذي وصفته لفورد في 17 تموز عندما أوصيت بالموافقة على البرنامج السري المقترح من قبل «وكالة الاستخبارات المركزية »:

كيسينجر: أُفضل أن نعمل. فإذا لم تفعل الولايات المتحدة شيئاً في الوقت الذي تسيطر فيه المجموعات التي يؤيدها السوفييت فلا بد أن نستنتج أنها يجب أن تتكيف مع الاتحاد السوفييتي والصين. أعتقد على مضض أنه ينبغي أن نفعل شيئاً. ولكن ينبغي أن تعلموا أن لدينا مشكلات كبيرة مع وزارة الخارجية. إنهم يعارضون ويتملصون.

فورد: ماذا عن ديفيز؟

كيسينجر: سيستقيل وسيجر معه بعضهم.

فورد: بعدما فعلت أنت وأنا من أجله.

سلّمت إلى فورد مذكرة ديفيز التي تحتوي على اعتراضاته وحضّيته على أن يدرسها قبل الوصول إلى قرار نهائي.

خصص برنامج «وكالة الاستخبارات المركزية» 6 ملايين دولار لإنفاقها على قوات هولدين روبيرتو بالدرجة الأولى وتشرف عليها زائير. استراتيجيتي المفضلة أن نكسب كما أخبرت مبعوثين في 27 حزيران. ولكن اللجان الثمانية للكونغرس، الذي يسيطر عليه ماكنفرن، والتي لا بد أن تُستشار لن توافق أبداً على ما ستعتبره مقاربة عسكرية. لذا تبنينا ـ بدون حكمة ـ استراتيجية لتحقيق الجمود على الأرض بتسليح سافيمبي وروبيرتو ثم الضغط علانية على الاتحاد السوفييتي كي يوقف إمداداته من السلاح. عند تلك النقطة، مع توازن الفصائل وفوز الجانب غير الشيوعي، سوف ندعم نداء «منظمة الوحدة الأفريقية» OAU لإنهاء الدعم العسكري الخارجي، وبذلك نعيد المسألة إلى بعد أفريقي. أقول «بدون حكمة» لأن التوازن يصعب تحديده. وفيما أحاول أن أدفع التوازن نحو انتصار، فإن مدير المخابرات المركزية (C/A) وليام كولبي استخدمه كمبرر كي يقصر جهدنا على بعد من شأنه أن يقلص المجابهة وبالتالي الهزيمة المحفوفة بالخطر.

في صبيحة اليوم التالي، في 18 تموز، أعلن فورد، في اجتماعنا التقليدي في المكتب البيضاوي، قراره:

فورد: اتخذت قراري بشأن أنغولا. أعتقد أنه ينبغي أن نسير قُدُماً.

كيسينجر: أنت ستصادق على ذلك.

فورد: أنا راغب في ذلك.

كيسينجـر: سـوف نبعث (بشليدون) فانسـ إلى موبوتو مع مليـون دولار، مصحوباً مع أحـد موظفي وكالة المخابرات المركزية. سنقول له إن لدينا 6 ملايين دولار، وأكثر من ذلك إذا اقتضى الأمر، وسنطلب منـه أن يأتـي ببرنامج. قد يكـون الوقت متأخراً جـداً لأن لواندا ضاعت. وما لـم نستعدها فسيكون الوضع يائساً. سنطلب من ديفيز الاستقالة، ثم سأعمد إلى تنظيف «المكتب الأفريقي» (AF).

فورد: ولكن إذا لم نفعل شيئاً فسنخسر جنوب أفريقية. أعتقد أن موقفنا مفهوم. أعتقد أننا نستطيع أن ندافع عنه علانية. لن أدع أحداً من القاع المظلم يردعني.

ناقشنـا أنـا والرئيس بإيجاز العلاقة ما بيـن أعمالنا وسياستنا الانفراجية. قلـت إن الانفراج يُمكّننا مـن أن نكـون حازمين تجاه قضايا تتضمن مصالح قومية مهمة لأنها أعطت الاتحاد السوفييتي حافزاً كي «يطأطئ رأسه» عند التحدي. مهما كانت النظرية فقد حمي الوطيس، ونحن شرعنا بتنفيذ برنامجنا.

بعثنا بشيلدون فانس وولتر كاتلر ثانية لإخبار موبوتو. كما أُجبر زعماء أفارقة آخرون من قبل موظفين فـي وكالة المخابرات المركزية. وأُعطيت صحف أفريقية مختـارة تفاصيل عن الإمدادات السوفييتية في أفريقيـة لإحـداث رد فعل في مؤتمر منظمة الوحـدة الأفريقية (OAU) المقرر عقـده في نيروبي في 28 تمـوز. لـم تفد الاجتماعات على الحكومـة البورتغالية اليسارية لتشجيعها على توجيـه موظفيها في أنغولا ـــ ولاسيمـا الضباط ـ مـن أجل انتهاج موقف نزيه ووقـف توزيع الأسلحة على المنظمـة الشعبية. وزيدت الاعتمادات المالية لأنغولا بمقدار 20 مليون دولار.

ما إن تمت المصادقة على البرنامج من قبل الرئيس حتى استقال ديفيز. لقد ظل في المكتب أكثر من ثلاثـة شهـور بقليل وأمضى معظم الوقت في زيارة تمهيدية لأفريقيـا. ومن أجل تجنب المشاحنة العلنية، ولأننا نقدر خدمة ديفيز السابقة، عيناه سفيراً في سويسرة.

كانـت ردود الفعـل الأولية فـي أفريقية مشجعة. فقـد كان موبوتو متحمساً، وكاونـدا، رغم تحذيرات سافيمبي من خلال زامبيا. وتم تأسيس وسيلة الاتصال الاستخباراتي عن طريق مستشاره الموثوق، مارك تشونا، الذي كان يعمل سابقاً عند كاوندا بوصفه ممثلاً له في المهمات الدبلوماسية الحساسة.

استراتيجية أنغولا

آخـذاً بالاعتبـار كيف انتهت الأمور ولاسيما أثناء كتابة هـذه الصفحات. كنت أسأل نفسي ما إذا كان المشروع سيتم الالتزام به. لم تدخل به بسهولة بالتأكيد. لم يكن من صفاتنا أن نمضي ثلاثة شهور نحلل خياراتنا. ولما كنا نعي أن من المؤكد أن نواجه قريباً معارضة شديدة من الكونغرس، كنا نبحث بدأب عن خبراء تقع على عاتقهم المغامرات الأفريقية.

ولكننـا ببساطة لا نستطيع أن نتنازل في وجـه تحد صفيق للغاية، وكنا نأمل أنه إذا أخذنا على عاتقنا مسؤولية أولية، فإن الكونغرس سينظر إلى المسألة في النهاية بالطريقة ذاتها. ليس منذ أن أصبح الكونغو البلجيكي مستقلاً منذ 15 عاماً كان هناك جهد سوفييتي جدي لتغطية التوازن السياسي لأفريقيا بوسائل الشحنـات العسكرية والمستشارين. إذا كان الاتحاد السوفييتـي يستطيع أن يسود على مناطق بعيدة جداً عن حدوده في وجه مثل هذه الصعوبات اللوجيستيكية وقيادتنا للبحار، فأية أمور ستغريه في مناطق أقرب إلـى المصالح القومية الروسية التاريخية. كالشرق الأوسط؟ ما هي الاستنتاجات التي ستستخلصها دول أفريقية، إلى رفض مقاومة مغامرات الحرب الباردة من جانب الاتحاد السوفييتي؟ ترك الميدان للعمليات العسكريـة السوفييتيـة سوف يُدينا بعدم المبالاة بالفوران في جنوب أفريقية الذي يلوح في الأفق وكذلك فـي مناطق أخـرى أيضاً. المسألـة، بإيجاز، لم تكن الأهميـة الجوهرية لأنغولا، بـل مضاعفات السياسة الخارجية الروسية والعلاقات طويلة الأجل ما بين الشرق والغرب.

كان لـدى فورد ولدي شكوك قليلة حول ماذا ينتظرنا على الصعيد الداخلي. في الفترة ذاتها التي كنا نطلب من المخابرات المركزية أن تنظم مقاومة للاتحاد السوفييتي في أنغولا، كانت الوكالات الاستخبارية تُكبّل من قبل كونغرس يهيمن عليه ماكنزن، وكان مدير المخابرات المركزية (CIA) في حالة صدمة. كان المحافظـون يهاجمون إدارة فورد بشأن «صـك هيليسينكي النهائي لمؤتمر الأمن الأوروبي»، والمحافظون الجـدد كانـوا يكيلون الانتقادات لمفاهيم اتفاقية «سالت».وبعد عدة عقود تالية راح أبطال المجابهة ذات المفعول الرجعي يكتبون المقالات حول افتقار إدارة فورد للحل الأيديولوجي لمقاومة التوسع الشيوعي. هم نادراً ما وجدوا في ميادين للمعارك مثل أنغولا حيث كانت تدور المواجهة حقاً.

كنـت أنا وفورد نعي عزلتنا، ولكننا كنـا نعي أيضاً واجبنا تجاه البلاد كما كنا نراه. كان يتضمن سؤالاً فلسفيـاً لا بد من الإجابة عنه بشكل مقنع: ما هي مسؤولية أولئك الذين يديرون السياسة الوطنية، عندما تصطـدم دوافـع المصالح القومية والسياسة الداخلية؟ فورد وأنا كنا نـرى أن بلداً قوياً وحيوياً كالولايات المتحدة يعتمد عليها الكثير ليس لها الحق في أن تتخلى عما يعتبره رؤساؤها مصلحة قومية حيوية للسياسة الداخليـة. إذا كان الرؤسـاء يقاتلـون من أجل ما هو ضـروري، حتى لو أخفقوا، فسيظلـون يراهنون على شعبنـا الذي يُفترض أن يساعد على مستقبل أفضل وأكثـر أمناً. وإذا رفض الرؤساء أن يتابعوا المصلحة القومية كما يرونها، فلن يكون لدى الشعب معايير للتعامل مع الانهيار الحتمي. ولن يغزوا للانهيارات حتى لو جاءت على يد القادة الذين ينفذون رغبات الشعب الظاهرية.

لـم نخطـئ في عـدم الالتفـات إلا قليلاً إلـى الشـؤون الداخلية، بـل في الالتفـات إليها كثيـراً جداً. الاستراتيجيـة الفعلية التي اتبعناها كانت الاهتمـام كثيراً باعتراضات الكونغرس والوزارات مما لم يترك لنـا هامشـاً لمواجهة ما هو غيـر متوقع. كان لإعطاء ديفيـز لنفسه دوراً أكثر مما يستحـق في المناقشة،

وتعليقه وكأنه يعلم بالغيب في مذكرته التي تعترض على ما كنت أقرّيته وقدمته للرئيس كان له تأثير كبير: «طالمـا أن مسـوّدة خطة العمل هي المعنية فإن وجهة نظري ـ التي عبرت عنها ـ أن الإجراءات المقترحة غيـر ملائمـة لتنفيذ الغاية المقصودة». لم يكن من الواضح مـا إذا كان ديفيز يعني أن أي تدخل عسكري لـن ينجح (وهذه عقيـدة المكتب الأفريقي) أم أنه يقصد أن الوسائل المقترحة فعلاً غير ملائمة لتحقيق هدف آخر يمكن الوصول إليه. إذا كان ديفيز يعني أن الوسائل المقترحة لم تكن ملائمة للهدف فقد كان صائباً في هذه النقطة. صانعو السياسة يدفعون الثمن عادة عندما يعبرون عن شكوكهم بتجنب التنفيذ.

لـم يكـن الخطأ الأساسي هو قرار منع السيطرة الشيوعية علـى أنغولا، بل في الطريقة التي نفذنا بها هذه السياسة. إحدى المشكلات كانت أن فورد، وسكوكروفت وأنا، المسؤولون الثلاثة عن البرنامج.

كنـا نتصرف بضعف. فبعـد أيام قليلة بعد اتخاذ قرار أنغولا، غادر فـورد ومستشاروه الرئيسيون إلى هيليسينكـي ومحطات أوروبية أخرى. أما أنا فقد انشغلـت طيلة شهر في الرحلات المكوكية التي أسفرت عـن الاتفاقية المؤقتة مـا بين مصر وإسرائيل. وفي شهـر تشرين الأول انتقلت إلـى الصين لأرتب زيارة فـورد إليها. وفي شهر تشرين الثاني ارتحل الرئيـس وكبار مستشاريه إلى قمة رامبولييه، ثم إلى الصين، وأندونيسيا، والفيليبين. أما «المكتب الأفريقي» المكلف عادة بتنفيذ مثل هذه العملية بكاملها، فقد أصيب بالشلـل لاستقالـة أمينه العام المساعـد، والفراغ المحتم إلى أن تتم مصادفـة مجلس الشيوخ على تعيين خلف له.

كان مـن الممكـن معالجـة المشكلة لو أن سلسلة القيـادة دون مستوى القمة كانـت أكثر تحرراً وقدرة علـى التحرك. فالرئيـس ووزير الخارجية لا يشرفان عادة على العمليات اليومية، كما لا يشرفان أبداً على العمليـات السرية. وفـي حالة أنغولا، كانت هناك ثغـرة واسعة في المواقف ما بيـن المستوى الأعلى ومن كانـوا يشرفـون فعلياً على العملية. لقد كانت البرامج السرية، تاريخياً، تـدار بعد أن تصادق عليها «لجنة الأربعيـن» من قبل وكالـة المخابرات المركزية يوماً بيـوم. وكان هذا مناسباً طالمـا أن العمليات السرية كانـت من جهود المخابرات التقليدية، المركزة على عمل سياسـي. ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً حيال عمليات عسكرية بالحجم المنتشر الآن.

إن التمويـل من ميزانية وكالـة الاستخبارات المركزية (CIA) لا يقتضي أن تُـدار العمليات الفعلية من قبل كوادر «الوكالة».إنهم غير مدربين على قيادة وحدات عسكرية لذا فهم يلجأون إلى مرتزقة أجانب غير معتاديـن أو مطلعين على خطتنا الشاملة. عندما يدير العاملون في «الوكالة» عمليات عسكرية يعوزهم عادة الإحساس بالملاءمة التكتيكية وينجذبون إلى حِيل دراماتيكية أكثر مما يهتمون باستراتيجية متماسكة طويلة الأجـل. ما كنا نفتقر إليه هو قائد ميدانـي مع أعضاء قيادة محترفين يتفحصون جميع المعلومات المتوفرة ويجذبون باحتراف، في نطاق استراتيجية متماسكة، جميع القوى الأنغولية الأصيلة التي كنا نؤيدها.

نتيجـة لذلك ظهر وليـام كولبي بالخطأ كقائد فعلـي لعملية أنغولا. كان هو المسـؤول الذي تتم عبره الاتصـالات من الميـدان وإليه. وكانت هناك «مجموعة عمل» تمثل جميع الوكالات تحت قيادة كولبي فنياً. أمـا عملياً فإن مثـل هذه المجموعات تميل إلى تجسيم العوائق بدلاً مـن اغتنام الفرص. ولما كانت بعض الكـوادر قـد أخفقت في رؤية الفرص، فقد كان من الأكثر توقعاً أن تميل إجماعها جملة من المخاوف بدلاً من توجه استراتيجي.

كان تفسير كولبي لقرارات «لجنة الأربعين» قد أضحى عملياً المرشد العملي لواشنطن. وفي استرجاع لصـورة الماضي، كان ينبغي علينا أن نعيّن شخصاً ما في البيت الأبيض. شخصاً لديه قناعة حقيقية بما نقـوم بـه. لتنسيق العملية. لقد أمضى كولبي كثيراً من الوقت، إن لـم يكن معظمه، يدافع عن وكالته أمام لجـان التحقيق التابعة للكونغرس. ونظـراً لمقته المتزايد للعمليات السرية فقد كان أقل استعداداً لإعطاء مبـررات لعملية أنغولا، وأقل استعداداً لمواجهة ضغوط الكونغرس المتزايدة عليه. وسعى إلى تحقيق ذلك عـن طريق توضيح كل تعليمـات تكتيكية حول أنغولا عبر اللجان المناسبة، محـولاً مراجعة الكونغرس من إشراف عام إلى توجيه يومي.

وفيمـا كانت «لجنة الأربعين» تعمـل على إقامة توازن في القوى مقدمةً للمفاوضات، لا يشك أحد ممن كان يحضـر اجتماعات لجنة الأربعيـن بأنني كنت أفضل ـ متحدثاً باسم فورد ـــ التفسير الأكثر ليبرالية للعبارة.

حذّرت بشكل خاص من تكرار التجربة في الهند الصينية وأكدت على أنه «لن يكون ثمة مغانم نخسرها مـع الاعتـدال». ولكن تعليمات كولبي الميدانية كانت تصر على تفسير للتـوازن يؤدي في أحسن الأحوال إلى الجمود وإعاقة أية مبادرات كبيرة. كانت أفضل استراتيجية إنفاق أكثر ما يمكن من الاعتمادات المخصصة في أقرب وقت ممكن من أجل إحداث تغيير سريع ومهم في الموقف على الأرض وتهديد التصعيد السوفيتين. ولكن كولبي كان يوزع الاعتمادات المتوفرة لدى لجنة الأربعين على مدى السنة ويقسمها على أساس شهري. بهذه الطريقة أضعنا شهرين حاسمين قبل وصول القوات الكوبية بأعداد كبيرة.

جميع أشكال القيود الأخرى حدّت من المرونة العملية، وأحد هذه القيود أنه لم يكن مسموحاً لعناصر المخابـرات المركزيـة بدخول أنغـولا (باستثناء أولئـك الموجودين في لواندا، الذي لـم يزدد عددهم). وبالنتيجة فقد طُوّع المرتزقة في البرازيل، أو البورتغال، أو الدول الأفريقية للعمل مستشارين، ثمة حاجة ماسـة إليهم للقوات الأنغولية. وحيثما أمكن كانت «المخابـرات المركزية» تحض روبيرتو وسافيمبي على شراء أسلحتهما من السوق المفتوحة، وبنقودنا، بدلاً من أن نزورهم نحن، الأمر الذي أزعجني كثيراً.

فـي وجه هـذه القيـود كان برنامجنا بطيئـاً جداً فـي التنفيذ مع استمـرار الجسر الجـوي والبحري السوفييتي وبدء وصول القوات الكوبية.

قلت بغضب للموظفين عندي في 15 أيلول:

ثمة شيء ينافي المنطق في أن يكون السوفييت قادرين على نقل قواتهم من بلادهم، في حين لا تستطيع الولايات المتحدة بقواتها البحرية والجوية الهائلة أن تكون فعالة. إنه حقاً أمر لا يمكن استيعابه.

مثل هذا الموقف لا يثبط الاستهداف الاستراتيجي بل يحول دون أن تحث المعلومات الميدانية على معالجة فعالة من الوصول إلى البيت الأبيض. النقطة المهمة هي تجربة جون ستوكويل، أحد موظفي «الوكالة المركزية للاستخبارات» (CIA) العاملين في زائير، الذي اخترق الأوامر، وقام بزيارة جبهات القتال الأنغولية ووصل إلى استنتاج بأن الحرب يمكن كسبها. وقد لخص آراءه في كتاب بعنوان: «في البحث عن أعداء»:

كان لدينا خياران قابلان للتنفيذ في أنغولا. نستطيع أن نعطي منظمتي FNLA(*) و«منظمة الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا» دعماً كافياً كي يكسبا بأن نسارع بالدعم التكتيكي الجوي والمستشارين ونضع يدنا على لواندا ونطرد منظمة MPLA(**) قبل أن يستطيع السوفييت أن يردوا. وإلا، إذا كنا غير راغبين في القيام بذلك، فسوف نعزز مصالحنا بالبقاء خارج النزاع. المراوحة في المكان، أو متابعة الطريق بمقادير ضئيلة من المساعدات لن يكون من شأنها إلا تصعيد الحرب وجعل الولايات المتحدة في موقف هش[6].

هذا ـ باستثناء الدعم الجوي الأمريكي ـ كان رأيي على وجه الدقة (رغم أنني لم ألتقِ بستوكويل قط من قبل). هذه المعالجة كانت ستحظى بالتأكيد بتأييد البيت الأبيض أو «لجنة الأربعين».

إنصافاً لكولبي يجب أن يظل في بالنا أنه كان يعكس مزاج «البيلت واي ـــ Belt Way». أما بالنسبة إلى البيت الأبيض فإن تحرك السوفييت نحو أنغولا كان تحدياً جيو ـ سياسياً ملحاً. أما بالنسبة للكولبي فإن الحقيقة ذات الأولوية فهي شهادته اليومية غالباً أمام مجموعات الكونغرس المعادية. كان البيت الأبيض يريد أن يغير الوضع على الأرض في أنغولا بأسرع ما يمكن وقبل يوم استقلال أنغولا تحديداً، وهو 11 تشرين الثاني. مبادرة كولبي كانت على العكس تماماً. نظراً لأنه كان مضطراً إلى مواجهة ثماني لجان من لجان الكونغرس عند كل تصعيد. كان يفكر باحتراس ـ وربما بدفاع عن العملية ـ كي يجعل كل خطوة جديدة صغيرة وغير بارزة. مع كل هذه العقبات كنا ـ بشكل مؤسف ـ قريبين من النجاح.

ومع اقتراب يوم الاستقلال قدرت «وكالة المخابرات المركزية» أن «الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا» يسيطر على ثلثي سكان أنغولا (أكثر من 6 ملايين نسمة). وأظهر تقرير «لوكالة المخابرات المركزية» في 5 تشرين الثاني إلى «لجنة الأربعين» أن النجاح في متناول اليد:

(*) الجبهة الوطنية لتحرير أنغولا.

(**) الجبهة الشعبية لتحرير أنغولا.

مـع اقتراب يوم 11 تشرين الثاني، 1975، نستطيـع أن نسجل تحسناً ملحوظاً في التوازن العسكـري الصافي في أنغولا لصالح الجبهتين المذكورتيـن. بالرغم من التدفق الغزير للأسلحـة والمدربين والمستشاريـن العسكرييـن السوفييت، ومؤخراً القـوات المسلحة الكوبيـة، فإن «الاتحاد الوطني لتحرير أنغـولا» FNLA والاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا UNITA تابعـا الضغـط في لوانـدا واستطاعا احتلال أربع عواصـم إقليمية بما في ذلك الميناءين الرئيسيين: لوبيتو وبينغيولا.

الأسلحـة مـن برنامجنا كانت عاملاً أساسيـاً ـ وكذلك مشاركة وحـدات متتالية صغيرة مـن الجيش الزائيري ثم من جيش جنـوب أفريقية. الجبهة الماركسيـة تحتل العاصمة ولكنهـا لا تحتـل إلا 6 من أصـل 15 مركزاً من مراكز المحافظـات. ونفت الجبهة تحقيق انتصـار سريع فيما أكدت الجبهتان الأخريان علـى اشتراكهما في حكومة أنغولية تخلف النظام البرتغالي. وكان الهدف الرئيس للولايات المتحدة في برنامجها للعمل السري قد تحقق.

الإطار الدبلوماسي

في بداية شهر تشرين الثاني، مع تقدم قوات روبيرتو في لواندا في الشمال فيما تكتسب قوات سافيمبي أراضي في الجنوب، وصل التحرك السياسي لإعادة النزاع إلى أبعاده الأفريقية. عند هذه المرحلة حالت خمسـة تطورات دون وصـول استراتيجيتنا إلى الذروة: 1 ـ تصعيد كبير فـي الجسر الجوي السوفييتي. 2 ـ التحـام القوات الكوبية في القتال الحقيقي. 3 ـ ظهور قوات جنوب أفريقية في أنغولا. 4 ـ انكشاف تفاصيل العمليـة السريـة لوسائـل الإعلام حول أنغـولا وتحولها من عملية سريـة إلى قضية سياسيـة. 5 ـ تصويت الكونغرس بالتالي على قطع أية مساعدات مالية أخرى لأنغولا.

فـي 18 تشرين الثاني أفادت وكالة المخابرات المركزيـة في تقريرها أن 13 طائرة من نوع «أن ـ 22» ذات الحمولـة الثقيلـة و7 طائرات أن ـ12 ذات الحمولة المتوسطة قد سلمت معدات إلى لواندا مباشرة أو عبـر برازافيل منذ 31 تشريـن الأول. وتُعدّ ما سلّمه الاتحاد السوفييتي مـن معدات بمئتي عربية مدرعة، ومـن بينها 50 دبابـة، وأسلحة دفاع جوي، وقاذفات صواريخ، ومدفعية ثقيلة، من بينها مدافع ميدان عيار 122 مـم، ومـا يزيد على 20 ألف بندقية من مختلف الأنواع، مما قزّم جهد الإمدادات الأمريكية الذي كان يتألف في معظمه من أسلحة خفيفة.

وفي الوقت نفسه نُقل 800 مقاتل كوبي تقريباً جواً إلى أنغولا.

لـم يكـن حجم الجهد السوفييتـي متوقعاً، وتدخل قـوات مقاتلة كوبية جاء مفاجئـة كاملة. لم يتدخل الاتحـاد السوفييتي مـن قبل نهائياً في أماكـن بعيدة جداً عن حـدوده ومصالحه التاريخيـة، وقد فسّرنا

مجهوده في البداية على أنه عملية ممارسة أكثر منه قراراً استراتيجياً. ولهذا اعتقدنا أن موسكو ستتراجع حالما تؤكد الولايات المتحدة على وجود مصلحة قومية مهمة لها بتقديم السلاح والأفراد المدربين. وحتى لو أصر السوفييت فإن تقدمنا اللوجيستي سوف يمكننا من التفوق. كما أكد السفير فانس وأنا في محادثة نشرت سابقاً.

هذه الأحكام كانت دقيقة في المرحلة الابتدائية من التدخل. ولو أننا تحركنا بسرعة لكان الانتصار الحاسم في متناول اليد. ولكن انشغالنا بخلافاتنا الداخلية وأفكارنا المكونة مسبقاً، وانتشارنا المتمهل قد جرى اكتساحه بتصعيد لم يتنبأ به أحد: وصول قوات قتالية كوبية حسنة التدريب مجهزة بمعدات تفوق أي سلاح تمتلكه جيوش حرب العصابات التي كنا ندعمها.

كما أن مخاطرة الاتحاد السوفييتي في منطقة غير واعدة مثل أنغولا كانت أمراً لم تتنبأ به أية وكالة استخبارية من وكالاتنا ـ وما كان يمكن أن تحصل حقاً لأنه لا قيمة استراتيجية لها. إن ولايات متحدة أقل انقساماً داخلياً تستطيع أن تتغلب على التحدي ـ كما فعلنا تقريباً حتى بعد وصول الكوبيين ـ لو لم يوقفنا الكونغرس.

يقول السفير السوفييتي أناتولي دوبرينين في مذكراته إن بريجينيف قد دُفع إلى أفريقية من قبل العقائديين في «المكتب السياسي» الذين كانوا يفضلون تأييد حركات التحرير على الانفراج[7]. وقد وصفه جورجي أرباتوف بأنه إغراء وانتهازية[8]. هذه العوامل المهمة قد جسّمها ضعف العلاقات الأمريكية. السوفييتية. فانهيار قانون التجارة، وتعديلات جاكسون وستيثنسون، والجمود المتزايد بشأن قضايا الحد من التسلح التي يفترض أنها حُلّت في فلاديفوستول، والتنافر حول القرار النهائي لمؤتمر الأمن الأوروبي، جميعها أسهمت في تآكل تحفظات السوفييت. وعلى نحو مشابه فإن دبلوماسيتنا في الشرق الأوسط التي عملت على وضع اتفاقية مصرية ـــ إسرائيلية مؤقتة أخرى لم تكن بالتأكيد موضع ترحيب السوفييت وأوجدت حافزاً لمناورتنا على الأقل في منطقة جغرافية واحدة ـ حتى لو كانت منطقة غير متوقعة مثل أفريقية الجنوبية.

التخوف السوفييتي من الصين ربما كان عاملاً مسهماً آخر: الفصيل الأيديولوجي في «المكتب السياسي» كان مهتماً بتزايد النفوذ الصيني لدى حركات التحرير الأفريقية وفكر بأنه قد لا يكون لديه الفرصة لتقليصه[9]. وكانت أنغولا فرصة محتملة أيضاً لجعل القادة الصينيين يصلون إلى حدود القدرات الأمريكية وقرارها، وبذا يسحبون البساط من تحت أقدام سياستنا ذات الزوايا الثلاثة.

أخيراً كانت الورقة القوية التي يمثلها فيدل كاسترو. في ذلك الوقت كنا نظن أنه يعمل لدى السوفييت. لم نتخيل أنه سيعمل بتحريض ذاتي إلا إذا أُرغم من قبل موسكو على أن يدفع ثمن دعمها العسكري والاقتصادي له.

ومـن الواضح الآن أن العكس هو الصحيح. ففي عـام 1975 كان كاسترو في ذروة تألقه الإيديولوجي. ويبـدو أنـه خسر انهيار الهنـد الصينية كظاهرة لضعف قاتـل للسلطة الأمريكية وفرصـة لتنصيب نفسه زعيمـاً أيديولوجياً لموجة المستقبـل. صعد كاسترو مفعماً بالخيلاء الجهـود الأمريكية ليستكشف تطبيع العلاقـات وأرسل فيالـق استطلاعية إلى أنغولا من تلقاء نفسه. وقد ذكـر جيورجي كورينينكو، نائب وزير الخارجية السوفييتية آنذاك في مقابلة أُجريت معه:

قـرأت برقية من سفيرنا فـي كوناكري (غينيا) تفيد بأن السفير الكوبي قد أخبره أنه في اليوم التالي ستحط بعض الطائرات التي تحمل وحدات من القوات الكوبية في أراضي كوناكري من أجل إعادة التزود بالوقود في طريقها إلى أنغولا. سألت غروميكو: هل تعرف شيئاً عن ذلك؟ فقام بمخابرة أندروبوف (رئيس الـ ك.ج.ب) وغريشكـو (وزير الدفاع). لم يكن أحـد منهما يعلم شيئاً. جميعهم كانـوا ضد هذا التدخل وأبرقـوا فـوراً إلى «المكتـب السياسي» واقترحـوا أن نوقف كاسـترو. استغرق الأمر بضـع ساعات لكتابة التقريـر واتخاذ القرار، وإرسال رسالة إلى كاسترو. في ذلـك الوقت كانت الطائرات في السماء. يمكنك أن تتساءل حقاً: كيف يمكن أن يحدث هذا ـ طائرات سوفييتية موجودة في كوبا، ولكنها طائرات سوفييتية ولدينـا قليـل من الجنود هناك.. دققت في الأمر، فوجدت أن رجالنـا قد اشتركوا، وطائراتنا كانت هناك لاستخدامهـا مـن قبل كوبا، كمـا أن مستشارينا قد شاركوا فـي العمل، ولكنهم كانوا علـى قناعة تامة أن القرار السياسي اتخذ في موسكو[10].

روايـة مشابهة تحـدث عنها وزير الخارجية ألكسندر هيج في خريف عـام 1981 في اجتماع سري في مدينـة مكسيكو مع الموظف الرسمي الكوبي كارلوس رافايل رودريغوس، انتهز المناسبة لينفي أن موسكو كانت تمسك بالخيوط من بعيد؛ إنه كاسترو، وليس بريجينيف، القوة المحركة وراء إرسال قوات عسكرية إلى الزعماء الثوريين في أفريقية[11].

حتـى فـي هذه المرحلة المبكـرة نسبياً كان مـن الممكن التغلب علـى التدخل الكوبي ــ ولا سيما في المرحلـة الأولـى ـ لو أننا نفذنـا برنامج أنغولا بهمـة وتماسك لأن الخطر وشيك، ولـم يرفض الكونغرس المشروع عندما كان الحل السياسي في الأفق.

فـي أواسط شهـر تشرين الثاني، كان مـن الواضح أن تـوازن القوى سوف ينقلب سريعـاً ضد روبيرتو وسافيمبـي. لذا اتخذنـا أربعة إجراءات مضادة: (1) فـي 14 تشرين الثاني طلبـت المخابرات المركزية، وصادقـت «لجنة العمل»، اعتمادات إضافية لتعويض ما يبنيه السوفييتي (2) نجابه الأعمال السوفييتية في أنغولا دبلوماسياً وعلانية (3) بدأنا حملة لإغراء «منظمة الوحدة الأفريقية» على رفض الاعتراف بـ «الجبهة الشعبيـة لتحريـر أنغولا» MPLA والدعوة إلى انسحاب القوات الأجنبيـة كافة (4) شرعنا في مباحثات مع فرنسا طلباً لمساعدتها في الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية دبلوماسياً وقلب مجرى تيار المعركة.

توجهنـا بالدبلوماسيـة نحو موسكـو في 20 تشرين الثانـي. كانت كلتا القوتيـن العظيمين تناور ضد الأخـرى بالوكالـة لمدة ثلاثة أشهر بدون أن يثيـر أحد الجانبين الموضوع رسمياً. لم يتحدث فورد عن أنغـولا مـع بريجينيف عندما التقى به في شهـر تموز في هيليسينكي. ولم يثـر بريجينيف الموضوع ربما لاعتقـاده أن الجبهـة الماركسيـة MPLA تكسـب. ثـم قدمت مذكرة غيـر موقعة ـ هي رسمياً أكثر من محادثـة وأقل من رسالة ـ إلى دوبرينين فـي وزارة الخارجية تحذر من أن الاتحاد السوفييتي بتصرفاته فـي أنغولا قد تجـاوز جميع «الحدود المعقولـة». واعترضنا على اعتراف الاتحـاد السوفييتي «بالمنظمة الشعبيـة لتحريـر أنغولا» التـي «لا تمثل في الواقع إلا قلة مـن السكان وتسيطر على ثلـث مساحة أنغولا»، وذلـك بسبب الإمدادات العسكرية السوفييتية الكثيفـة. وألحّينا على الاتحاد السوفييتي بعدم الاستمرار في جسره الجوي الذي ليس من شأنه إلا أن يُصعد القتال (وهذا تهديد خفي بأننا صممنا على المحافظة علـى توازن القوى الأفريقي). وعبرنا عـن تأييدنا «لمنظمة الوحدة الأفريقية» وجهودها للوصول إلى حل تفاوضـي، وطلبنـا من السوفييـت أن ينضموا إلى «المنظمـة» في ندائها لجميع الـدول لوقف تدخلها في شـؤون أنغـولا الداخلية. ويُستخلص من المذكرة أننا لم نكن نسعى إلى مكسب وحيد الجانب وأننا نرغب بالاضطلاع بدور دبلوماسي «مساعد».

في 22 تشرين الثاني أجاب السوفييت بنشاط غير معهود. رسالة مطولة جدلية أظهرت النفوذ المتزايد للجناح الإيديولوجي في «المكتب السياسي».ووصفت المذكرة، بعد أن وضعت اللوم بسبب الوضع المتوتر فـي أنغولا على «الاحتـكارات الأجنبية»، ادعاءاتنا بالتدخل العسكري بأنهـا «لا أساس لها» ورفضت القول إن الاتحـاد السوفييتـي لا يتمسك بالتفاهـات السوفييتية ـ الأمريكية القائمـة. ولكن ما إن انزاحت موجة الغضـب، حتى أصبحـت المذكرة السوفييتية أكثـر وداً وتعاوناً. كانت موسكو تفضـل اندماج جميع القوى الوطنية، بعيدة عن أي تدخل خارجي كما قالت:

وكانـت مستعدة لإصدار بيان بهذا الصدد ودعتنا إلى إصدار تصريح مشابه. لم تحدد المذكرة ماذا تعني بـ « القوى الوطنية» وخلت من الإشارة إلى جهد الإمدادات الواسع. لذا قررنا أن نزيد الضغط.

فـي خطبـة في ديترويت بتاريخ 24 تشريـن الثاني، كررت الاتهامات التي وردت فـي مذكرتنا ـ تحذير واضح للسوفييت بأن صبرنا قد نفد:

> لا تستطيـع الولايـات المتحدة أن تقف موقـف اللامبالاة في الوقت الـذي تشرع فيه قوة خارجيـة بسياسة تدخل ـ بعيدة جداً عن بلادها وبعيدة عن المصالح الروسية التقليدية. ما يزال لدى الاتحاد السوفييتي فرصة لاتباع سياسة ضبط النفس، التي تسمح للأنغوليين أن يحلوا خلافاتهم بدون تدخل خارجي. سنكون سعداء لو نتعاون في هذا الصدد. ولكن الوقت يجري بسرعة، واستمرار سياسة التدخل سيهدد حتماً علاقاتنا[12].

وصادق فورد على كلامي بلغة أقل حدة في مؤتمر صحفي تلا خطبتي:

أوافـق على خطبة كيسنجر في ديترويت.. فالاتحاد السوفيتي لا يساعد على الانفراج بما بفعله. وآمل أن تكون الرسالة قد وصلت[13].

رد الرئيـس وأنا على الملاحظة السوفييتيـة في 22 تشرين الثاني بتكرار رغبة أمريكا في الإسهام في أي حل أفريقي من خلال «منظمة الوحدة الأفريقية» والمفاوضات بين الأطراف الأنغولية الثلاثة.

أوجـدت رحلة رئاسية إلى الصين وإندونيسيا والفيليبيـن استمرت من 1 ـ 7 كانون الأول (ديسمبر) ثغرة في العلاقات الأمريكية ـ السوفييتية. ففي الصين أكد فورد، لاسيما أمام ماو، تصميمنا على رفض وصايـة سوفييتية على أنغولا، وحـثّ الصين على استخدام نفوذها في الاتجاه نفسـه. أشار ماو بأسلوبه الموجـز أنـه سوف يستطلـع احتمالات الصين، ولا سيما عـن طريق زائير. تبادل الرأي لـم يأتِ بالكثير بالنسبـة للعلاقـات الصينيـة. الأمريكية التـي تعتمد إلى حد كبيـر، من وجهة نظر الصيـن، على قدرة أمريـكا على حفـظ التوازن الدولي للقوى وبصـورة غير مباشرة أمن حدود الصيـن الطويلة مع الاتحاد السوفييتي.

فـي تلك الفترة بدت السياسة السوفييتية تتحول أكثر نحـو مزيد من المصالحة. ففي 7 كانون الأول، تحـدث رئيس «مكتب أفريقية» فـي وزارة الخارجية السوفييتية إلى السفيـر الزائيري في موسكو بطريقة فسّرها موبوتو على أنها إشارة إلى أن السوفييت قد «يسحبون» تأييدهم للجبهة الشعبية. وفي الوقت نفسه سارعنـا بدبلوماسيتنـا باتجاه الدول الأفريقية. وتقرر عقد مؤتمر منظمـة الوحدة الأفريقية في منتصف كانون الثاني في أديس أبابا. كانت استراتيجيتنا أن نجري مفاوضات تزيح القوات الأجنبية والوصول إلى اتفاقية بين الفصائل الأنغولية.

في ذلك الوقت كان طلب استبعاد القوات الأجنبية ينطبق على تلك التي تنتمي إلى جنوب أفريقية التي دخلـت إلى أنغولا من ناميبيا (التي كانت ما تزال عملياً ضمن أراضي جنوب أفريقية). في شهر آب نقلت جنوب أفريقية قوات عبر الحدود تماماً لحماية مشروع محطة الطاقة الهيدروليكية على نهر كيونين، التي مولتهـا البرتغال وجنوب أفريقية معاً. وفي تشريـن الأول، أفادت وكالة المخابرات المركزية أن ما يقارب 100 ــ 150 مستشـار جنوب أفريقية كانوا مع وحدات سافيمبي الخلفيـة. وفي غياب وجود أمريكيين على الأرض، كان من الصعب التأكد من صحة هذه التقديرات. واستناداً إلى معلومات باتت متوفرة الآن، كان العدد بالتأكيد أكثر بكثير، ودورها كان أقل مما ادعى تقرير المخابرات المركزية.

كانـت جنوب أفريقية قد اختـارت التدخل بدون مشاورة سابقة مع الولايات المتحدة. لم نعلم بها قبل تقريـر المخابرات المركزية فـي 31 تشرين الأول، وموظفو المخابرات المركزيـة المحليون كانوا يعلمون عنه مسبقاً. ومع تدفق القوات الكوبية قررنا أن نعامل قوات جنوب أفريقية كواحدة من العناصر الخارجية

ينبغـي ترحيلهـا بموجـب تسوية ما. أخبرت لجنة الكونغرس في 29 كانون الثانـي، 1976، أنه سيكون من الأسهل بالتأكيد التخلص من الجنوب أفريقيين من التخلص من القوات الكوبية.

في ذلك الوقت كان يقال على نطاق واسع إن التدخل الكوبي قد تفجر بسبب تحركات جنوب أفريقية. ما نعرفه الآن عن مجرى الأحداث يناقض ذلك. فقد بدأ التدخل الكوبي في أيار، وتسارع في تموز عندما كانـت المنظمة الشعبية MPLA تكسب أراض، واتسع في أيلـول وتشرين الأول. وأول الوافدين الكوبيين ـ مـا يزيد علـى 200 مستشار وصلوا في ربيع أو بداية الصيف (قبل ظهور الجنوب أفريقيين) وكان هدفهم تدريـب قوات المنظمـة الماركسية على التكتيكات السوفييتية واستخـدام التجهيزات السوفييتية[14]. وفي منتصـف آب اقترح كاسترو توسيعاً كبيراً للتدخل علـى بريجينيف، وعندما تردد الزعيم السوفييتي، تابع كاسترو طريقـه بمفرده. وبدأت تصل وحدات كوبية متتالية في أواخـر أيلول وبداية تشرين الأول ووصلت في النهاية إلى مستوى يزيد بمقدار عشرين مرة عن قمة الانتشار الجنوب أفريقي.

كان التدخـل الجنـوب أفريقي يمثـل بالنسبة لنا حرجـاً سياسياً ومغامرة. لم تكـن عنصراً مهماً في استراتيجيتنـا والـذي كما سنرى اعتمـد قبل كل شيء على جهودنا في تجنيد بعض القوى الأفريقية التي تشجعهـا فرنسـا. ورغم التحرك الجنوب أفريقي فإن دبلوماسيتنا كانت تسير قُدُماً في القارة. كنا نخص الـدول الأفريقيـة على عدم الاعتراف «بالمنظمة الشعبية لتحرير أنغولا» ـ MPLA. وفي 21 تشرين الثاني كتبت إلى الأمين العام «لمنظمة الوحدة الأفريقية» وليام ايتيكي، أؤيد فيها دعوة المنظمة إلى وقف إطلاق النار، والتفاوض بين الأطراف، والامتناع عن الاعتراف المقتصر على جماعة واحدة:

> إن الولايـات المتحدة من جانبها ليس لديها مصالح فردية في أنغولا. كما أكدت علانية، ليس لدى الولايات المتحدة أية مصلحة هناك عدا وحدة أراضي أنغولا واستقلالها. نحن نعتقـد أن شعب أنغـولا له الحق في حكومة يختارها بنفسه وأن يعيش في اطمئنان وسلام آمن.
>
> فـي نهاية شهـر تشرين الثانـي، لم تعتـرف إلا إحدى وعشـرون حكومـة أفريقية بحكم «المنظمة الماركسية» في لواندا، وبعض الدول القليلة من خارج القارة.
>
> إزاء هـذه الخلفيـة قررنا أن الوقت قد حان لإيصال الأمور إلـى ذروتها مع السوفييت. وفي 9 كانـون الأول، استدعى فورد السفير دوبرينين إلـى المكتب البيضاوي. في هذا الاجتماع الـذي حضرته تجنـب الرئيس الأحاديث الجانبية ودخل في الموضـوع مباشرة: الوضع في أنغـولا «ليس صحياً»، ولما كان الرئيـس ملتزماً بالانفراج فقد وجد صعوبة في فهم الأفعال السوفييتيـة من وجهة نظر مصلحـة أمنية سوفييتية أو روسية سابقـة. لم يسأل دوبرينين المحتـرف قـط ما إذا كنا نعنـي اقتراحاً محـدداً. اقترحت انسحاب جميـع القوات ووقف

الاستمـرار فـي الإمـداد. أجاب دوبرينين بـأن الحل السياسـي ربما ينبغي أن يأتـي أولاً ـ الموقف المعتاد لأولئك الذين يريدون استخدام موقفهم العسكري المتفوق لصياغة نتيجة سياسية. أصر فورد على أن وجود القوات الكوبية سيثير حتماً تساؤلات جدية حول العلاقات الأمريكية ـ السوفييتية بكاملها. دعا دوبرينين، من جانبه، ثانية إلى حل أمريكي وقال: أنغـولا بعيدة جداً. سأنقل هذا إلى حكومتي. إذا كان لديكم اقتراح ما غير القول: «ينبغي ألا تفعلوا هذا»..

في اليوم التالي أوضح دوبرينين أنه لم يتحدث قط بدون تعليمات، لا سيما في اجتماعاته مع الرئيس. وهتـف لـي لمراجعة «اقتراحاتنـا»: الجوهر هو دعـوة أمريكيـة ـ سوفييتية مشتركة إلـى «منظمة الوحدة الأفريقية» لانسحاب جميع القوات الأجنبية، وكيفية فرض حظر على إمدادات الأسلحة وتنفيذه.

في 10 كانون الأول توقف الجسر الجوي إلى أنغولا ولم يستأنف إلا بعد أن شرّع الكونغرس قراراً يقضي بإنهـاء البرنامج الأمريكي في أنغولا. وفي 16 كانون الأول علق الرئيس السوفييتي نيقولاي بودغورني أمام السفيـر البريطانـي الذي كان يقوم بزيـارة وداعية، بأن التحالـف الحكومي الذي أسـس حول «المنظمة الشعبيـة» قد يحـل الأزمة الأنغولية. لن نقبل بالمنظمة الماركسية على أنهـا العنصر الرئيس في تحالف، ولكنه فسر تعليق بودغورني خطوة أولية نحو موقفنا.

وفـي الوقـت الذي كنا ننتظر فيه رداً سوفيتياً رسمياً، كنـا نتطلع إلى بعض العناصر الجديدة من أجل إعـادة التوازن ضد التدخلات الكوبيـة. وفي 16 كانون الأول، أثناء مؤتمر المنتـج/ المستهلك في باريس (انظـر فصـل 22)، راجعت الموقف في أنغولا على الغداء مع الرئيـس الفرنسي جيسكار ديستان. إذ كان لفرنسـا اهتمام خاص بأفريقيا الناطقة بالفرنسيـة والتي كانت تربطها بحكوماتهـا علاقات أوثق والتي حمـت أمنهـا الداخلي بصورة دؤوبـة ومتواصلة أكثر من أيـة سلطة استعمارية أخـرى. وكانت لغة زائير، بالرغم من أنها مستعمرة بلجيكية سابقة، هي اللغة الفرنسية.

لـم يكن لدى ورثة دولة ريشيليو ثقة بالتصريحات الزائفة عـن حسن النية حول «إبقاء أفريقية خارج نطـاق الحرب الباردة ».كان جيسـكار يشاركنا الرأي بأن اجتماع الإمـدادات السوفييتية والقوات الكوبية قد ينسف الاستقرار في جميع المناطق الناطقة بالفرنسية وليس زائير فحسب. وطيلة فترة المغامرة في أنغـولا أبدت الحكومة الفرنسية اهتماماً بالغـاً، وقدم رئيس مخابراتها الجريء صاحب المخيلة الواسعة، الكونـت ألكسانـدر دي مارنشيـه، نصيحـة لا تقدر بثمـن، كما كان يقـدم أحياناً مساعـدة فنية. وفي 19 تشرين الثاني كتب جيسكار رسالة عميقة إلى فورد يلفت فيها انتباهه إلى الواقع الجديد وهو أن «الاتحاد السوفييتـي حتى الأيام الأخيـرة لم يتراجع عن المساعـدة المكشوفة والكثيفة للمنظمـة الماركسية التي يتزعمها السيد نيتو». وعرض المسائل الاستراتيجية على هذا النحو:

هل يحـاول السوفييت أن يقدموا لأتباعهم الوسائل لاستعـادة المبادرة وإزالة خصومهم عسكريـاً، أم هم يحاولون فقط تجنب إذلال «المنظمة الماركسية» MPLA وجعلها قادرة على التفاوض؟

بقـدر ما تهتـم الولايات المتحـدة؛ هل سيكـون للتدخـل السوفييتي تأثير فـي العلاقات الأمريكيـة مـع المنظمتيـن الأنغوليتين الأخريـن نظراً لمستـوى المساعـدة المقدمة، والطابـع العلني لهذه المساعدة؟ هل تعتقد الولايـات المتحدة، بالأحرى، أن من الأفضل الوصول إلى وقف إطلاق النار وإقامة حكومة ائتلافية ثلاثية؟

هذه هي الأسئلة التي يهمني أن أعرف رأيكم فيها. إنها أيضاً موضوع الأسئلة التي أتلقاها من بعض الزعماء الأفارقة القلقين، وهذا ما شجعني على أن أبعث إليكم بهذه الرسالة.

بلـورت مناقشاتنـا في واشنطـن المسائل بحدة وإيجـاز. وقد لخص فـورد سياستنا في جوابه في الخامس والعشرين من تشرين الثاني. قال: إن السوفييت كانوا يناورون لإعطاء «المنظمـة الشعبية» موقع السيطـرة. وقد اعتبروا حقاً أن هـذه «المنظمة» هي الحكومة الشرعيـة الوحيدة، و «بالتالي سيثبت السوفييت مكانتهم علانية». وأعلن فورد عن وجود عامل أساسي معاد للصين في التحرك السوفييتي. إنهم يأملون أن يُبيّنوا لزعماء العالم الثالـث المناضلين أنهم لا يستطيعون تحقيق طموحاتهم الثورية إلا عن طريق المساعدة السوفييتيـة، وأن يُبيّنـوا للصينييـن أن الولايـات المتحـدة لا تستطيع إيقـاف العدوانية السوفييتيـة حتى في أفريقية البعيدة، فضلاً عن الحدود السيبيرية. واستخلص فورد أن الولايـات المتحدة لا يمكـن أن تظل غير مهتمة تجاه لعبة القوى السوفييتية بهذا الحجم. ومـع هـذا فنحن مستعدون أن نقبل بالحـل الذي تؤكد عليه «منظمـة الوحدة الأفريقية»: انسحـاب القوات الأجنبيـة، ووقف الإمدادات الخارجية، وتشكيـل حكومة ائتلافية تحت إشراف المنظمة المذكورة.

علـى الغـداء في باريـس تعهد جيسكار بهـذا التبـادل للرسائل. كان في أفضـل الأحوال فـي هذا المحيط ــ ساحراً ودافئـاً ولامعاً. كان صريحـاً بشأن مضامين رسالته. دحر التحـركات السوفييتيـة فـي أنغولا كان فـي صالح كل من فرنسـا وأصدقائهـا الأفارقة، ولهـذا كان جيسـكار مستعـداً للعمل وفـق هذه القناعـة. سوف يساعد علـى توفير قوات مساعـدة (من الأفارقـة الفرنسييـن والمراكشيين) وعدد من طائـرات الهيلوكوبتر من طـراز «أليوت» المجهزة بصواريخ س ـ 11 لمجابهة الصواريخ السوفييتية عيار 122 مم، والتـي كانت تضعف معنويات قوات روبيرتـو وسافيمبي. وسيضع طائرات ميراج المقاتلة

في زائير ويساعدنا على الحصـول على الدعم الدبلوماسي من الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسيـة. وسـوف يتخذ الكونت دي مارنشيه هذه الإجـراءات عن طريق فيرنون ولترز نائب مدير مخابراتنا.

وفـي 18 كانـون الأول تلقينا جـواب السوفييت عن محادثـات فورد مـع دوبرينين. الذي يعتـرف بلهجة المصالحـة، بأن لدينا مهمـة مشتركة لأبعاد أنغولا عـن إفساد العلاقات السوفييتية ـ الأمريكية:

لا يمكن للرئيس بالطبع إلا أن يهتم بمحاولات دوائر معينة داخل وخارج الولايات المتحدة واستغـلال الأحداث في هذا البلد الأفريقي لخلق مضاعفـات في العلاقات السوفييتية ـ الأمريكيـة. وحيث إنه لا يوجد أساس حقيقـي، كما نعرف عن قناعة، لهذا الانحراف في الأحداث، فإن المهمة بالتالي ألا نعطي اليد العليا لمثل هذه المحاولات.

فيمـا يخص اقتراحات الرئيس النوعية نفـت موسكو بشدة أن تكون «بطلة إطلاق العنان لحرب أهلية في ذلك البلد». وتفاوت اقتراح فورد بدعوة أمريكية ـ سوفييتية مشتركة لوقف إطلاق النار، ولكنها وافقت على توجيه نداء لإبعاد القوات الأجنبية:

ما ينبغي أن نتابعه الآن باهتمام هو إنهاء التدخل العسكري الأجنبي في تلك البلاد بحيث نضمن فعلاً لشعبها أن يختاروا بأنفسهم القضايا المتعلقة ببناء حياة جديدة في ظروف الاستقلال والحرية بدون أي تدخل من الخارج.

وذهبت المذكرة السوفييتية أبعد من ذلك واقترحت نشر بيان أمريكي ـ سوفييتي مشترك لهذا الغرض:

سـوف نرحب ببيان كهذا من جانب الولايات المتحدة، بالإضافة إلى أفعالها العملية التي تؤدي إلى الهدف المذكور أعلاه.

إذا كان الاتحاد السوفييتي مستعداً لإصدار نداء مشترك لإبعاد جميع القوى الأجنبية، نكـون في طريقنا إلى حـل دبلوماسي، مفترضين أنه مصحـوب بوقف إطلاق للنار. وكنا واثقين أننا نستطيع أن نرتب اجتماعاً «لمنظمة الوحدة الأفريقية» لنعلن تأييدنا لوقـف إطلاق النار بين المتحاربين الأفارقة. بالطبع كان هناك بعض الثغرات: فقد يدعـي الاتحاد السوفييتي أن بعضـ المقاتلين الكوبيين السود هم من أهل البلاد، أو يعرقـل التنفيذ حتى يستكمـل بناءه المادي حيث تستطيع القـوات الكوبية أن تكتسح الميدان.

مـن ناحية أخرى فـإن الفقرة الأخيرة من المذكـرة السوفييتية قـد أوضحت أن موسكو تواقة إلى تجنب مواجهة مع الولايات المتحدة بشأن أنغولا:

بالنتيجـة نود أن نؤكد ثانيـة أن الرئيس يستطيع أن يطمئن بـأن الجانب السوفييتي ليس معنيـاً إطلاقـاً على أية حـال في أن تبدو الأحـداث في أنغولا من زاويـة «مجابهة ما بين موسكو وواشنطن» أو «اختباراً لسياسة تخفيف حدة التوتر».

كنا نجمع أجزاء استراتيجيتنا. فزيادة متواضعة في تأييدنا العسكري مصحوبة بمساعدة فرنسيـة مـن شأنها على الأقـل أن تحـول دون انتصار سوفييتـي ـ كوبي وتخلـق أساساً لدبلوماسيـة تحقق انسحاب القـوات الأجنبية. الدعم الفرنسي من قبـل الدول الناطقة بالفرنسية بقيادة ليوبولو سنغور رئيس السنغال، بالإضافة إلى دبلوماسيتنا، من شأنها أن تحقـق إصدار قرار عن منظمة الوحدة الأفريقيـة يؤيد النتيجة السياسية التي نساندها. وتقرر مؤتمر قمة المنظمة المذكورة في منتصف كانون الثاني 1976 في أديس أبابا. وفي أعقـاب حل كهذا، ستمسك القوى الغربية بجميع الأوراق الحاسمة للخبرة واللوجيسيتات الأفريقية.

عند هذه النقطة اكتشف الكونغرس خطتنا.

تعديلات توينى وكلارك

كان جيسكار قد طلب طائرتي نقل من طراز سي. 130 لنقل الحوامات الفرنسية مع أطقمها لمجابهة صواريـخ 122 مم الكوبية في أنغـولا. ورغم أن التجهيزات السوفييتية والقوات الكوبية لم تكن بعد حاسمة إلا حـول لوانـدا، كان إدخال معدات جديدة ضـروري جداً لإبعاد الطرف الشيوعي عـن النصر الحاسم. وهذا لا يتحقق بالاعتمادات التي تم رصدها من قبل «لجنة الأربعين».

تفحصـت لهذا «مجموعة العمـل» ثلاثة مستويات من المساعدة: 28 مليون دولار، أو 60 مليوناً، أو مئة مليون دولار. واختارت وكالة المخابرات المركزية، خشية تعرضها للنقد، الحد الأدنى، وكان رئيس الوكالة كولبـي قـد أُقيل من عمله ولكنه بقي فيـه حتى يصادق مجلس الشيوخ على تعييـن خلفه جورج بوش. ومن المعـروف أن كولبـي لم يكن يرغب كثيراً في توسيع البرنامج. أوصيـت بمبلغ 60 مليون دولار؛ إذ ما كانت الوكالة لتوصي بالرقم الأعلى.

وافـق فـورد، بتحريض من مستشاريه فـي الكونغرس على الخيار الأدنى، وهـو 28 مليون دولار. وهذا المبلـغ يمكن أن يخصص لبرنامج أنغولا «بعد إعـادة برمجته». وهذا إجراء معقد في الميزانية لا يتحقق بالنسبة للمبالغ التي تقل عن 50 مليون دولار، ويقتضي مناقلة من فقرة إلى أخرى في الميزانية لوزارة ما

مـع موافقة رئيسي لجنتي المخصصات في مجلسي النـواب والشيوخ (والخيارات الأخرى لا بد أن تجري مـن خلال إجراءات المخصصات الكاملة). ولما كان النائـب جورج موهان من ولاية تكساس والسيناتور جـون ماكليلان من أركنساس من الجنـاح المحافظ في الحزب الديمقراطـي، صديقين لفورد فقد شعر الرئيس بأن المصادقة على الطلب المتواضع لإعادة البرمجة ما هي إلا مجرد روتين.

ولكـن الكونغرس كان قد اختلف كثيراً منذ غادره فورد قبل سنتين. فالكونغرس تحت هيمنة ماكفرن كان يمثل ذروة الاعتراض المتطرف. وكان يعارض بشدة التدخل في الخارج، ولا سيما في العالم النامي، ويشك في وكالة المخابرات المركزية، ويعادي بشدة العمليات السرية ولا يثق في صِدق السلطة التنفيذية. وعنـد أول بارقـة للانتصار أبطـل الكونغرس الجديد تقليد مخاطبـة رؤساء اللجان لكبـار أعضاء حزب الأغلبيـة، وهـذا ما جعـل رؤساء اللجان يتورعـون عن ممارسة السلطـة المتميزة التي كانـوا يتمتعون بها سابقاً.

وهـذا ما انطبق بشكل خاص على أنغولا لأن البرنامج السري قد أصبح فجأة موضع اختلاف وانتقاد. المعارضـة لـم تفعل شيئاً حيال الطابع السري للبرنامج لأن الكونغرس بمجمله كان على اطلاع جيد عليه. وخلال الفترة ما بين شهري تموز وكانون الأول أدلى موظفون في الخارجية والمخابرات المركزية بشهادات أمام لجان الكونغرس واللجان الفرعية على نحو متواصل. فقد قُدم 40 شهادة استغرقت ستة أشهر. بعض اللجان كانت تتألف من عضوين (واحد من كل حزب) لتلقي الشهادات، وبعضها كان يتألف من 13 عضواً. كان الخيـار لهـم. وكان عددهم بالمجمـوع 12 من أعضاء مجلس الشيـوخ و150 نائباً من الكونغرس ومئة موظـف من كلا المجلسين (عرض للأحداث ملحق في فقرة الملاحظـات في آخر الكتاب)[15]. وكان كل تصعيد يُبلغ عنه بالتفصيل.

يعتبـر الكونغرس مسؤولاً وحريصاً على سرية المعلومات. قليل جداً مـن تسريب المعلومات يمكن أن يُعـزى إلى مصادر في الكونغرس. وفـي سنة سقوط الهند الصينية لم يكن الكونغرس حريصاً على تحمل مسؤولية إيداع المعلومات عن سقوط بلد آخر في أحضان الشيوعية ـ مع وجود دليل واضح على المشاركة السوفييتية ـ الكوبية.

توقعـت أن تحـدث تسريبات في وقـت أبكر ولكن، من أجل تغطيـة تسمية ديفيز سفيـراً إلى سويسرة، والخلافـات بين وزارة الخارجية ووكالـة المخابرات المركزية حافظت على الانضباط. وخلال فترة تثبيت ديفيز من قبل «لجنة العلاقات الخارجية» في مجلس الشيوخ في 19 تشرين الثاني، انفتحت أبواب الفيضان. فـي ذلك الحين كان يديـر «المكتب الأفريقي» إيد مولكاهي بطريقة مهنيـة وانضباطية. لذا فإن التسريب ربمـا جاء إما من الكونغرس وإما مـن أحد مؤيدي وجهة نظر ديفيز في وكالة المخابرات المركزية. ومهما كان الأمر فإن معارضة ديفيز وشكوك أصدقائه تلقفها الأعلام وحظيت بتأييد صحفي واسع[16].

الاحتجـاج العلنـي وضع حداً لقبـول الكونغرس بالبرنامج السـري لأن قلة ممن جـرى الاستماع إلى شهادتهـم كانـوا مستعدين لمواجهة الهجوم إذا أقرّوا علناً بما فعلوه سراً. وقد قام السيناتور ديك كلارك من ولاية أيوا، بوصفه رئيساً «للجنة الفرعية للشؤون الأفريقية» التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، والذي استمع إلى شهادات أكثر من أي سيناتور آخر، بالتحدث بحرية عن أنغولا في 5 كانون الأول كما لو أنه يعلم عن الحرب الأهلية في أنغولا من مصادر الأخبار:

وصفت التقارير الصحفية في الأسابيع القليلة الأخيرة اندفاعاً ظاهراً لنشاط سوفييتي تأييداً للجبهة الشعبيـة في أنغولا MPLA. وكشفت تقارير أخرى وجود وحدات مـن الجيش الزائيري والجنوب أفريقي، والمرتزقة البيض يقاتلون مع المجموعتين الأنغوليتين اللتين كانتا تعارضان «الجبهة الماركسية».

وقبـل يومين ذكرت صحيفة «نيوزداي» عن شحنات أسلحـة أمريكية كبيرة إلى أنغولا. من الواضح أن هذه التقارير لم تؤكد[17].

لمـا كان هذا الموقف غير خاف خرج علينا السيناتور كلارك بعد بضعة أسابيع، في 29 كانون الثاني، 1976، بنظرية غير عادية تفيد بأن الشهادات أمام الكونغرس لا تتضمن بالضرورة المشاورة:

سؤالي ما إذا كان الأفراد الذين جرى الاستماع إلى شهادتهم، أكانت استشارتهم مطلوبة. يبـدو لـي أنها تضع الناس الذين جرى الاستماع إلـى شهادتهم في موقف صعب إذ يُتوقع منهم إعطاء جواب بنعم أو لا أو بعض الإشارة حول كل نشاط سري عرض عليهم، أو إذا قيـل إنهـم لم يعترضوا عليه. هذا يضعهـم في موقف صعب إذا لـم يُنصحوا مسبقاً بأن معارضتهم ستجعل الأمر مختلفاً[18].

ما ظن السيناتور أن الفرض من هذه الشهادات هو خلاف أن يحظى بالموافقة قد أخفق في تبيانه.

الهروب من المسؤولية أصبح يتعلق بالحزبين. فالسيناتور الجمهوري كليفورد كيس أصر علـى أن تكتـم الكونغرس لا يمكن أن يفسر على أنه قبـول، وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي ألا نتوقع استمراره:

الإخفـاق في التعبير عن اعتراض واضح، ولا سيما عندمـا نكون تحت ضغط السرية لما جرى اقتراحه في شهر تموز، لم أشعر ولا أزال لا أشعر أنه منعنا عن الاعتراض في شهر كانون الأول[19].

وأضاف بأن أية معارضة لبلد أجنبي «تتضمن أموراً مالية أعتقد أنها يجب أن تكون علنية» ـ إنه مبدأ يجعل الولايات المتحدة تبتعد عن عمل المخابرات.

أمـا السيناتـور جوزيف بيدين، وهو ديموقراطي من ولاية ديلاور فقد أتى بتفسير ـ بصراحة ملطفة ـ حول سبب اعتراض الشيوخ في شهر كانون الأول على ما كانوا وافقوا عليه في شهر تموز:

من وجهة نظر عضو واحد، حول كيف بدا .. لا يمكن الوصول إلى ذلك. لذا لا يوجد حرج داخلي، أو أنهم لم يروا إمكانية له بسبب الطريقة التي نقل بها[20].

بمعنى آخر، إن الشيوخ يقبلون بالبرنامج طالما أن الجمهور لا يعلم عنه شيئاً. وسيلجأون إلى التغطية عندما يشاع وسيضطرون إلى الدفاع عن مواقفهم السابقة. ماذا كان الغرض عندئذ من التدقيق الجديد للكونغرس في النشاطات السرية الذي تلا ذلك؟

فـي هذا الجو كانت نتيجـة الجدل مقدرة. وكمـا يفعل الممثلون فـي الأدوار الكلاسيكية المكـررة، فإن النـواب والشيوخ كانـوا يكررون الحديـث باسم التنازل عـن الجدل حول فيتنـام الـذي أثيـر قبل تسعـة شهور. وقـال السيناتـور كلارك في 29 كانـون الثاني: إن الولايـات المتحدة ليس لهـا مصلحة استراتيجية مهمة عسكريـة أو اقتصادية في أنغولا ـــ طارحاً السؤال مـا إذا كان لنا نحن (وكل أفريقية) مصلحة مـن منع القوة العسكرية السوفييتية من الظهور كوسيط في صراعات أفريقية.

أجاب السيناتور تشارلز بيرسي عن هذا السؤال في الشهادات حول أنغولا بعد بضعة أيام مستشهداً بفيتنام:

هـل لأن السوفييـت موجـودون هناك، علينـا أن نذهب نحـن أيضاً؟ تلك كانـت مشكلتنا فـي فيتنام. لم تكن مصالحنـا الحيوية في خطر، حقاً. إنها مسافـة بعيدة لوجيستيكياً، ويصعـب كثيراً مساندتها، ونحن كنـا نساند الجانب الذي ليس لديـه قوة معنوية، وليس لديه العزيمة الضرورية أو الإحساس بالوحدة[21].

لـم يُبيّـن بيرسي كيـف يمكـن أن تتغلب العزيمـة على المساعـدة السوفييتيـة الضخمة والمشاركة العسكرية الكوبية بدون مساعدة أمريكية.

ارتـأى السيناتـور جاكوب جافيتـس أن على الولايـات المتحدة أن تتنكر لـدور الشرطي العالمـي ـ وهـذه مقولة كان يرددهـا السيناتور بيديـن. وكان هذا جزءاً مـن الحجة أن القوميـة الأفريقيـة، وليس غطاء الدعـم الأمريكـي، كان الثقل المعاكـس الأكثر فعالية لموطـئ قدم سوفييتي في جنوب أفريقية. ولكن كيف تستطيع القومية الأفريقية أن تسود فـي الوقت الذي تتألف فيه معظم القـوات المقاتلة في «الجبهة الشعبيـة لتحرير أنغولا» وأسلحتها من الكوبييـن؛ بفضل الجسر الجوي السوفييتي الهائل، ذلك الجسر الذي أمد أنغولا بالأسلحة مما كان موجوداً في كل أفريقية السوداء المجاورة للصحراء؟!

وفـي الوقـت الذي كان فيه الحوار مهذبـاً بدت الهوة بين الرئيـس والكونغرس غير قابلة للجَسر. وكان المعارضون يسعون إلى إثبات نظرية في السياسة الدولية تتجنب الجغرافيا السياسيـة والتوازن، وهي نسخة مصغـرة عن الويلسونية التي تقول: إن قوى الخير سوف تنتصر بقوة فضيلتها الجوهرية الكامنة فيها، وليس بالاستراتيجية، لاسيما ليس استخدام القـوة. ولهـذا كان الهجوم في العمليات السرية بديلاً عن المبـادرة الهجومية الجوهرية بالطريقة التي عملت بها السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب لمدة جيل.

جميـع المشاحنـات المعتادة حـول فيتنام قد تكـررت. ولكن في حيـن كان الجدال حول فيتنـام قبل تسعة شهـور يدور حول مضامين الكرامة الوطنية فـي مواجهة هزيمة أولية، كان التراجـع الاستراتيجي غير الضـروري مطلقاً في أنغولا يُفرض على قواتنا في الوقت الذي كان فيه النصر يمكن تحقيقه تماماً.

فـي 18 كانون الأول، في ليلة ما قبل التصويـت الحاسم، التقيت مع قيادة مجلس الشيوخ فـي مكتب زعيـم الأغلبية مايـك مانسفيلد وشرحـت استراتيجيتنا لهـم، وضمّنت ذلك بالجـواب السوفييتي الواعد في ذلك اليوم والخيـار الفرنسي (بعبارات متحفظة). ولما كان علـيّ أن أشهـد أمام «لجنة العلاقـات الخارجية» التابعة لمجلـس الشيوخ بعد شهر، شرحت لماذا كان برنامجنا سرياً:

اخترنـا الأسلوب السري لأننا أردنا أن نقلص حضورنا إلى الحد الأدنى. أردنا الحصول علـى أكبر فرصـة ممكنة لحل أفريقي. شعرنـا أن المساعدة العلنيـة سوف تطور عقيدة رسمية تبرر تدخل قوة كبرى[22].

وكررت حافزنا لمقاومة تدخلات سوفييتية:

هـل نريـد حقاً أن يستنتـج العالم أنه إذا اختـار الاتحاد السوفييتي التدخـل الكثيف، وكانت القوات الكوبية وغيرها تُستخدم قوةً استطلاعية مهاجمة، فلن تكون الولايات المتحدة قادرة علـى حشـد الوحدة أو اتخاذ القرار لتقديم حتى مساعـدة مالية؟ هل نتوقع من أولئك الذين يواجهون تهديداً بدون مساعدة من جانبنا أن يقاوموا؟ هل نريد من خصومنا أن يستخلصوا أنه عند قيام تحديات في المستقبل فإن انقسامات أمريكا الداخلية من المحتمل أن تحرمنا حتى من الحد الأدنى من القوة والسيطرة على تطورات ذات أهمية دولية؟.. وما هو الاستنتاج الذي ستستخلصه قوة عظمى لا تُواجه بالمعارضة عندما تلوح فرصة تدخل أخرى؟[23].

أوضحـت أهدافنـا: وقف إطلاق النـار، وإنهاء المجـزرة المأساويـة، وانسحاب القوات الخارجيـة: السوفييتيـة والكوبية والجنـوب أفريقية، ووقف التدخـل العسكري الأجنبي، والمفاوضات بين الفصائل الأنغولية[24].

بـدا الشيـوخ متجاوبين. قـال صديقي السيناتـور هيوبرت همفري الـذي أحترمه كثيراً: «أعتقد أنه ينبغي أن نعطي الوزير فرصة».

ولكن في صباح اليوم التالي، كان مزاج مجلس الشيوخ صارماً. وقال همفري: إن المشاعر كانـت قويـة جداً بحيث لم يستطـع أن ينفصل عن أصدقائـه الليبراليين والناخبين مرة أخرى قائلاً: «لا أريد أن يجرحوا قلبي ثانية».

بهـذه الطريقـة لم تكن المجادلات حول النزاع في الهند الصينيـة منذ تسعة أشهر تتكرر فحسب، بل كذلـك كان الكـرب. والسبب كان مشابهاً جداً. المعارضة الليبرالية التقليدية لم تكن غير متوقعة، ما كان مفقوداً هو التوازن المحافظ. قلة من أبطال المشاحنات حول سولجينستين، وهيليسنكي واتفاقية «سالت» انضمـوا إلينا عند المتاريس عندما ظهر تحد جيوبوليتيكي سوفييتي حقيقي، وأولئك الذين فعلوا تعرضوا للكبح الشديد.

وفيما كان المحافظون ولا سيما المحافظون الجدد يساندوننا في المسائل المقتصرة على موضوعات مثل المدى الدقيق للقاذفة السوفييتية المتوسطة وأنواع مختلفة من الصواريخ، كنا نكافح من أجل تجنب الجـدل الـذي ستذعن فيـه الولايات المتحـدة الأول مرة في الحـرب الباردة، لمغامـرة عسكرية يرعاها السوفييـت، كان موقفهـم أكثر إيلاماً وإزعاجاً. لم يكن التحدي السوفييتـي الجيوسياسي يمكن أن يجلب انتقـادات المنتقدين المحافظين للانضمـام إلى قوى الإدارة. لما كانوا قد حددوا النزاع الإيديولوجي مع الشيوعيـة والمعارضـة العنيدة للصيغة القائمـة لمراقبة التسلح بوصفها جـدول الأعمال الوحيد الذي له مغـزى، فقـد كان عليهم ألا يضيعـوا الفرصة إذا كان الموضـوع إسقاط السلطـة السوفييتية والكوبية في أفريقية.

كان هنـاك سبب فلسفـي آخر، بدرجة أقل، لصمـت المحافظين الجدد. ففي الحملـة الأولية فسروا موقفهـم ضـد إدارة فـورد بتساهلهـا المزعوم فـي مواجهة التحـدي الشيوعي. ولـو أنهم أيـدوا الإدارة فسيضطـرون إلـى أن يسلموا بحقيقة أن الخلاف بيـن موقفهم وموقفنا كان مسألـة تكتيكات وليس حول المبدأ. إنهم لا يستطيعون الانضمام إلى معركة يفترض أن تكون معركتهم لأنهم لا يستطيعون أن يتحالفوا مـع أولئك الذين كانوا في الخطوط الأمامية لجبهة نضال كانـوا يحددونها بوضوح. الحرب الأهلية داخل العسكر المحافظ أخلت الجو للمعارضة الليبرالية ضدهم.

هذا الحشد للقوى هو ما أوجد تنازل أمريكا في أنغولا. ففي 19 كانون الأول، 1975، أقرّ مجلس الشيوخ تعديل تيوني لمشروع قانون «مخصصات الدفاع» الذي حظّر أي استخدام لاعتمادات مالية من أجل أنغولا إلا إذا كانت مخصصة في الميزانية. وهذا كان يعني نهاية برنامجنا السري، لأن أية مساعدة علنية ينبغي أن تنتظـر العمليـة التشريعيـة في الدورة القادمـة للكونغرس التي ستمتد شهـوراً. أي بعد فترة طويلة من

تقرير مصير القضية. ولم يكن لدينا أية أوهام كذلك حول نتيجة المداولات التشريعية المفتوحة. ومؤيدو تعديل تيوني سوف يصوتون بالتأكيد للمساعدة العلنية من أجل القتال في أنغولا. وفي حزيران، 1976 جاء تعديل كلارك ليجعل تعديل، تيوني دائماً.

هـؤلاء المحافظـون الأشداء من أمثال بول لاكسالـت، وباري غولدووتر، وجيمـس ايستلاند وهيرمان تالميـدج لـم يصوتوا. جيسي هيلمز صوّت لصالح التعديلات، أما هنري جاكسون فقد صوّت ضد الرئيس مـن جهة، وصوت ضـد تيوني من جهة أخرى. وفي 19 كانون الأول بعد انتهاء التصويت في مجلس الشيوخ اندفع الرئيس منتقداً يقول:

> هذا التراخي في تحمل المسؤولية من قبل غالبية أعضاء مجلس الشيوخ سيكون له نتائج وخيمة جداً بالنسبة لموقف الولايات المتحدة على المدى البعيد، وبالنسبة للنظام الدولي بصـورة عامة. إن دولة عظمى لا تستطيع التهرب مـن مسؤولياتها. المسؤوليات التي يتم التخلي عنها اليوم ستعود في صورة أزمات أكثر حدة غداً.
>
> لهـذا أدعو مجلس الشيوخ أن يعكس موقفه قبل أن ينفض اجتماعه. الإخفاق في ذلك من شأنه، في رأيي أن يضر كثيراً بمصالح الولايات المتحدة القومية[25].

حقـاً كان كل شيء قـد انتهى. ففي 24 كانون أول استؤنف الجسر الجـوي السوفييتي بخطا متسارعة. وفـي الشهـر التالي تضاعف حجم القوات الكوبية في أنغولا. حتى في ذلك الحين رفضت 22 دولة أفريقية الاعتراف بحكومة «المنظمة الشعبية لتحرير أنغولا» في قمة منظمة الوحدة الأفريقية (OAU) في أديس أبابا في كانون الثاني؛ فتخيل أي تأييد دبلوماسي كنا سنحققه لو أننا حافظنا على توازن عسكري. لقد رفض الاتحـاد السوفييتي أية مناقشة إضافية حول أنغولا. وبقيـت القوات الكوبية هناك لمدة 15 سنة وانتشرت فـي أثيوبيـا والصومال واليمن الجنوبي فـي عهد إدارة كارتر. ولـم تخرج حتى ألغـت إدارة ريغان تعديل كلارك ونشرت البرنامج السري الذي كان جيرالد فورد ملتزماً بالتخلي عنه عند حافة النجاح[26].